ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥١/ الفصل الأول / السنة الرابعة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة

مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥١ - الفصل الأول
السنة الرابعة
١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣

زورونا
www.aljawadain.org

١٠

٢٦	القرآن يحفظ للحسين عليه السلام موقفه
٢٨	إبليس من منظور القرآن الكريم
٣٤	مات .. لأحيى
٣٦	الحرص في القرآن الكريم
٣٨	أهمية الحج ومكانته في القرآن الكريم
٤٢	الطيب والخبيث في المنظور القرآني

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

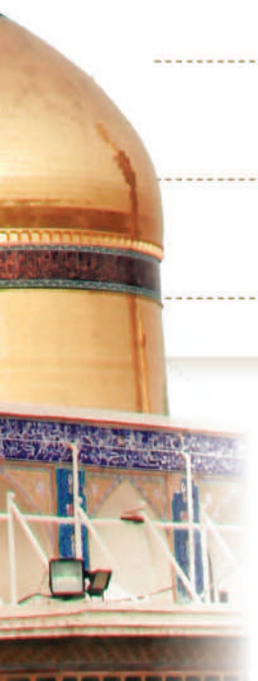

ذلك الحسين لا ريب فيه

إن يوم الحسين ﷺ هو بلا شكٍ يومٌ من أيام الله، اتحد فيه الثقلان في مواجهة الباطل وأهلهِ، فالحسين ﷺ كان مثالاً حَياً لاجتماع القرآن والعترة، فمن دقّق النظر وجد أن نهضته ﷺ كانت لإحياءِ القرآنِ بعد أنْ تحجّرت القلوبُ في صدورِ الناس.

فَمِنَ الواضح أنَّ القرآنَ يدعو للصلاحِ والإصلاحِ لداخلِ الإنسانِ وخارجهِ، باطنهِ وظاهرهِ، كما وأنه يريد أن يضعَ الإنسانَ على طريقِ الجادةِ المستقيمةِ والعبوديةِ المحضةِ للهِ عزّ وجلّ، وأيضاً من أهم ما أرادهُ القرآنُ للبشريةِ هو عدمُ الخضوعِ والمسكنةِ وطأطأةِ الرؤوسِ للظلمةِ والخنوعِ بعد الخضوعِ لهم.

وهكذا باقي المعاني التي جاءَ بها القرآنُ نجدها قد تَقَوَّمَتْ بشخصِ الحسين ﷺ، يومَ الطّفِ. ثم من جانبٍ آخر كان أبو عبد الله ﷺ مثالَ العترة وبقيتها، فكان الحُجةُ البالغةُ على الناسِ في صراعِ الثقلينِ معَ يزيد ودولتهِ وأنصارهِ حتى لا تبقى باقيةٌ تحاولُ أنْ تتأوّل خروجَ الحسين ﷺ على الطاغيةِ يزيد أو تكون في شكٍ من صراعِ الحسينِ مع يزيد. لذا كان سيد الشهداءِ مُحذّراً للجميع من عدمِ نُصرَتهِ والاستجابةِ لدعوتهِ لكون أن ما يحمله الحسين ﷺ هو القرآنُ والعترةُ معاً.

واليوم حيث نعيش في ذكراه الخالدة، لازال النداءُ مستمراً والمواجهةُ باقية، فالكثيرُ مع الأسف يَظُنُّ أن اتّباع الحسين ﷺ هو اتّباعٌ عاطفيٌ محضٌ بمعزلٍ عن القرآن ومضامينهِ العالية وأهدافه السماوية.

مع أن الفصل غير واقع أو حاصل بل مستحيل، فالنتيجة المثمرة لنصرة الحسين ﷺ إنما تكون في نصرة القرآن والعترة معاً.

وختاماً نقول إن الحسين ﷺ ذلك الحق الجامع لا ريب فيه.

✧ الشيخ عدي حاتم الكاظمي

علوم القرآن

من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي

أسماء القرآن ومعانيها

القسم الأول

❖ القرآن اسم للكتاب المنزل على نبيه محمد ﷺ باعتبار كونه مقروءً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه[2].

القرآن اسم للكتاب باعتبار كونه مقروءً، والمبين من الإبانة بمعنى الإظهار، وتنكير (قُرْآنٍ) للتفخيم أي تلك الآيات الرفيعة القدر التي ننزلها آيات الكتاب وآيات كتاب مقروء عظيم الشأن مبين لمقاصده من غير إبهام ولا تعقيد[3].

❖ الفرقان هو الفرق سمي به القرآن لنزول آياته متفرقة أو لتمييزه الحق من الباطل ويؤيد هذا المعنى إطلاق الفرقان في كلامه تعالى على التوراة أيضا مع نزولها دفعة، قال الراغب في المفردات: والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، وتقديره كتقدير رجل قنعان يقنع به في الحكم، وهو اسم لا مصدر فيما قيل، والفرق يستعمل فيه وفي غيره. انتهى[4].

❖ الذكر قوله تعالى: ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[5] الإشارة بهذا إلى القرآن وإنما سمي ذكرا مباركا لأنه ثابت دائم كثير البركات ينتفع به المؤمن به والكافر في المجتمع البشري وتتنعم به الدنيا سواء عرفته أو أنكرته أقرت بحقه أو جحدته. يدل على ذلك تحليل ما نشاهد اليوم من آثار الرشد والصلاح في المجتمع العام البشري والرجوع بها القهقرى إلى عصر نزول القرآن فما قبله فهو الذكر المبارك الذي يسترشد بمعناه وإن جهل الجاهلون لفظه، وأنكر الجاحدون حقه وكفروا بعظيم نعمته، وأعانهم على ذلك المسلمون بإهمالهم في أمره، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[6].[7]

❖ النور قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾[8] إلى آخر الآية التعزير النصرة مع التعظيم، والمراد بالنور النازل معه القرآن الكريم ذكر بنعت النورية ليدل به على

١- سورة يوسف، الآية٢.
٢- الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦.
٣- الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص: ٣٤٠.
٤- الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص: ١٧٤.
٥- سورة الانبياء، الآية٥٠.
٦- سورة الفرقان، الآية٣٠.
٧- الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص: ٢٩٧.
٨- سورة الأعراف، الآية١٥٧.

أنه ينير طريق الحياة، ويضيء الصراط الذي يسلكه الإنسان إلى موقف السعادة والكمال، والكلام في هذا الشأن[9].

❖ الروح قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[10] إلخ، ظاهر السياق كون (كَذَلِكَ) إشارة إلى ما ذكر في الآية السابقة من الوحي بأقسامه الثلاث، ويؤيده الروايات الكثيرة الدالة على أنه ﷺ كما كان يوحى إليه بتوسط جبريل وهو القسم الثالث كان يوحى إليه في المنام وهو من القسم الثاني ويوحى إليه من دون توسط واسطة وهو القسم الأول. وقيل :الإشارة إلى مطلق الوحي النازل على الأنبياء وهذا متعين على تقدير كون المراد بالروح هو جبريل أو الروح الأمري كما سيأتي. والمراد بإيحاء الروح- على ما قيل- إيحاء القرآن وأيد بقوله: (ولكن جعلناه نورا) إلخ، ومن هنا قيل: إن المراد بالروح القرآن، لكن يبقى عليه

أولا: أنه لا ريب أن الكلام مسوق لبيان أن ما عندك من المعارف والشرائع التي تتلبس بها وتدعو الناس إليها ليس مما أدركته بنفسك وأبديته بعلمك بل أمر من عندنا منزل إليك بوحينا، وعلى هذا فلو كان المراد بالروح الموحي القرآن كان من الواجب الاقتصار على الكتاب في قوله: ﴿ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ لأن المراد بالكتاب القرآن فيكون الإيمان زائدا مستغنى عنه.

ثانيا: أن القرآن وإن أمكن أن يسمى روحا باعتبار إحيائه القلوب بهداه كما قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[11]، وقال: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[12]، لكن لا وجه لتقيده حينئذ بقوله: (مِنْ أَمْرِنَا) والظاهر من كلامه تعالى أن الروح من أمره خلق من العالم العلوي يصاحب الملائكة في نزولهم، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[13]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾[14]، وقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، وقال: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[15]، وقد سمي جبريل الروح الأمين وروح القدس حيث قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[16]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾[17]. ويمكن أن يجاب عن الأول بأن مقتضى المقام وإن كان هو الاقتصار على ذكر الكتاب فقط لكن لما كان إيمانه ﷺ بتفاصيل ما في الكتاب من المعارف والشرائع من لوازم نزول الكتاب غير المنفكة عنه وآثاره الحسنة صح أن يذكر مع الكتاب فالمعنى: وكذلك أوحينا إليك كتابا ما كنت تدري ما الكتاب ولا ما تجده في نفسك من أثره الحسن الجميل وهو إيمانك به. وعن الثاني أن المعهود من كلامه في معنى الروح وإن كان ذلك لكن حمل الروح في الآية على ذلك المعنى وإرادة الروح الأمري أو جبريل منه يوجب أخذ (أَوْحَيْنَا) بمعنى أرسلنا إذ لا يقال: أوحينا الروح الأمري أو الملك فلا مفر من كون الإيحاء بمعنى الإرسال وهو كما ترى فأخذ الروح بمعنى القرآن أهون من أخذ الإيحاء بمعنى الإرسال والجوابان لا يخلوان عن شيء[18].

٩- الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨٣.
١٠- سورة الشورى، الآية٥٢.
١١- سورة الأنفال، الآية :٢٤.
١٢- سورة الأنعام، الآية :١٢٢.
١٣- سورة القدر، الآية :٤.
١٤- سورة النبا، الآية :٣٨.
١٥- سورة البقرة، الآية :٢٥٣.
١٦- سورة الشعراء، الآية :١٩٣.
١٧- سورة النحل، الآية :١٠٢.
١٨- الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٧٧.

الصفات الإلهية
سعة علمه تعالى

القسم الرابع

* الشيخ قاسم الخشاجي

مر علينا في الأمراد السابقة البحث في علم الله سبحانه وتعالى وأثبتنا أنه جل شأنه يحيط علما بالأشياء كلها، وذكرنا بعض الآيات الشريفة التي ترشد إلى هذه الحقيقة، وأثبتنا أيضا أن لله سبحانه علمين، يطلق على أحدهما بالعلم الذاتي وهذا العلم لا يتغير بتغير الممكنات، وإنما لهُا أثبتنا واجبية وجوده وهو في غاية الكمال فلا بد أن يكون علمه في غاية الكمال ولو فرضنا فيه التغير لكان في قوة النقص.

ثم إنه يعلم بكل ممكن في أي وقت يكون وبأي كيفية وحالة يصير ولا يتخلف من هذا العلم شيء، ويمكن اختصار بيان هذا العلم بتعريفه أنه العلم المقدس المنزه عن التفكر والتغير.

أما العلم الفعلي فإننا قلنا: إن جميع الممكنات الموجودة لا توجد إلا بالله جل شأنه، ووجودها وبقاؤها، لا يكون إلا به جل شأنه، وهذا العالم من ذرته إلى مجرته ممكن موجود بالله تعالى وفعل له، وما هذا شأنه فهو معلوم له جل شأنه من جهة العلم كما أنه معلول من جهة الفعل، وهذا العلم في مرحلة وجوده هو عين الفعل ويطلق عليه

العلم الفعلي الذي هو ظهور الشيء وحضوره بوجوده الخاص عند الله تعالى شأنه.

في هذين القسمين ذكرنا الأدلة لبيان علمه تعالى، إلا أن القرآن الكريم أشار لمظاهر لعلم الله تعالى في مضامين الآيات الشريفة وصنفت إلى أقسام عشرة حسب تتبع بعض العلماء، إلا أن من المفسرين من جعل قسمين أو أكثر في قسم واحد، نذكر بعض هذه الأقسام مع بيان موجز:

١- اللوح المحفوظ، أشار إلى اللوح المحفوظ في قوله تعالى- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1]، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي- (هو ذلك اللوح المحفوظ لدى الله سبحانه، والمصون من كل تغيير وتبديل وتحريف .. إنه كتاب علم الله المحفوظ لديه، والذي أدرجت فيه كل حقائق العالم، وكل حوادث الماضي والمستقبل، وكل الكتب السماوية، ولا يستطيع أي أحد أن يصل إليه ويعلم ما فيه، إلا إذا أراد الله سبحانه أن يعلم أحدا بالمقدار الذي يريده عز وجل)[2]، ويقول الشيخ جعفر سبحاني- (لعل أم الكتاب هو الكتاب الوسيع الأصيل الذي يكتب فيه تقارير الكائنات بجملتها وجميعها ومنها الإنسان، ولأجل ذلك يكون مصونا من التغيير، لانعكاس جميع التقريرات فيه جملة واحدة وهذا بخلاف لوح المحو والإثبات فيكتب فيه التقرير الأول ولكنه لما كان مشروطا بشرط غير متحقق، يغيره التقرير الثاني)[3].

٢- الكتاب المسطور جاء في قوله تعالى- ﴿كِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[4] اختلف فيه المفسرون منهم من يقول هو اللوح المحفوظ، ومنهم من يقول هو صحائف الأعمال التي تحصي أعمال العباد وغير ذلك.

٣- الكتاب المبين قال جل شأنه- ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا .. وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[5]، وسيأتي في الإمام المبين.

٤- الكتاب المكنون قال عز اسمه- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾[6]، اختلف فيه منهم من يقول هو أيضا اللوح المحفوظ، ومنهم يقول هو اللوح المحفوظ بلحاظ وجود القرآن الكريم فيه.

٥- الكتاب الحفيظ في قوله تعالى- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[7] حافظ لكل شيء ولآثاره وأحواله، أو كتاب ضابط للحوادث محفوظ من التغيير والتحريف، وهو اللوح المحفوظ ..)[8].

٦- الكتاب المؤجل قال تعالى- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾[9]، هو الكتاب المصون من التغير كتبت فيه الآجال بحدودها[10].

٧- الكتاب قال تبارك شأنه- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[11]، وسيأتي بيانه.

٨- الإمام المبين قال تعالى- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[12]، وقوله- ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ من التغيير الذي يشتمل على تفصيل فعاله سبحانه في خلقه فيحصي كل شيء وقد ذكر في كلامه تعالى بأسماء مختلفة كاللوح المحفوظ وأم الكتاب والكتاب المبين والإمام المبين كل منها بعناية خاصة. ولعل العناية في تسميته إماما مبينا أنه لاشتماله على الأشياء المحتوم ..)[13]. وعليه فإنه لا فرق بين الإمام المبين واللوح المحفوظ أو أم الكتاب أو الكتاب المبين مما هو مذكور من الأقسام.

٩- أم الكتاب وأشار إليه بقوله- ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[14]، و ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[15]، مر بيانه في الإمام المبين.

١٠- لوح المحو والإثبات وهو قوله تعالى- ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[16] وهو (المرحلة المتغيرة أو بعبارة أخرى (المشروطة) والتي يجر التغيير سبيلا إليها، وقد عبر عنها بالمحو والإثبات... فمن الممكن محو ما كتب فيه وتغييره.. يجر التغيير سبيلا إليه بالنظر إلى الأسباب الأخرى المرتبطة به)[17]، وهذا المظهر مما اتفق عليه مفسرو الإمامية ومتكلموهم ومصدرهم النبي والأئمة الأطهار (عليهم السلام).

١- سورة البروج الآيتان ٢١-٢٢.
٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٦/ ٢٢٧.
٣- الإلهيات تقرير جعفر مكي العاملي ص٥١٢.
٤- سورة الطور الآيتان ٢-٣.
٥- سورة الأنعام الآية ٥٩.
٦- سورة الواقعة الآيتان ٧٧-٧٨.
٧- سورة ق الآية ٤.
٨- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ١٨/ ٣٤.
٩- سورة آل عمران الآية ١٤٥.
١٠- إلهام الرحمن في تفسير القرآن البلاغي ١/ ٤٥٣، تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ١٥/٢٧٧.
١١- سورة الإسراء الآية ٤.
١٢- سورة يس الآية ١٢.
١٣- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ١٧/ ٧.
١٤- سورة الرعد الآية ٣٩.
١٥- سورة الزخرف الآية ٤.
١٦- سورة الرعد الآية ٣٩.
١٧- الله في كتاب الله للذي الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٤٣٣.

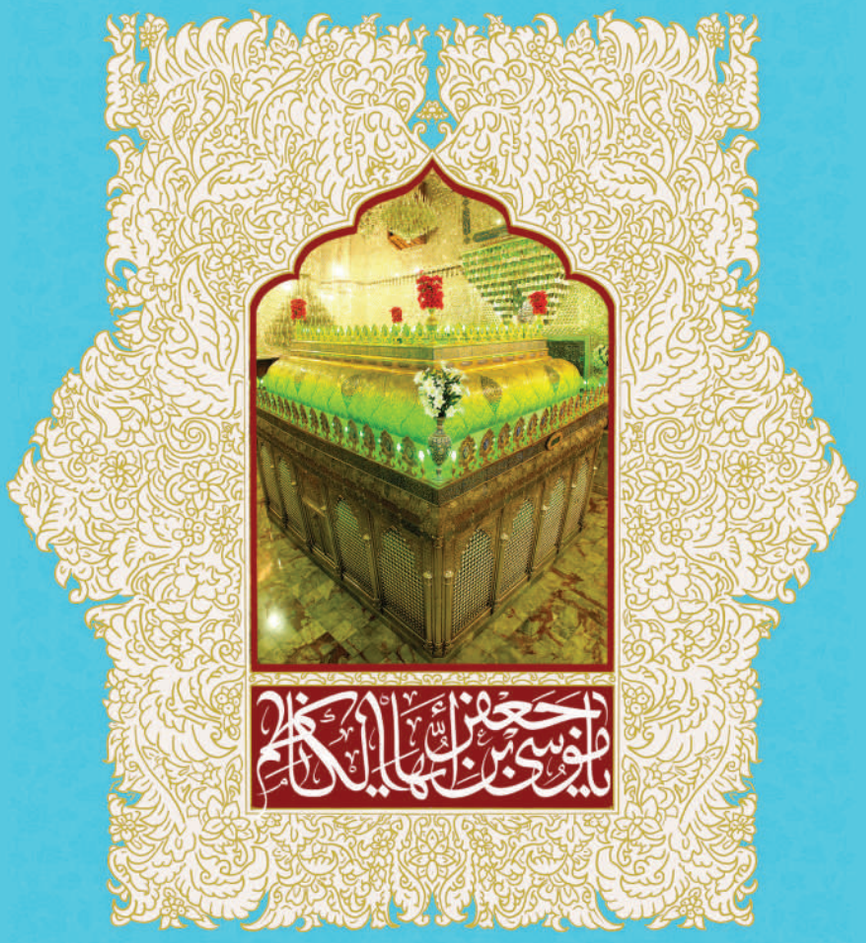

الإمام الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم

الحلقة ١٠

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بالآية المباركة حول الصلاة والحفاظ عليها من التضييع وأهميتها وبيان مقامها في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية[1]، وفي هذه الصفحات القرآنية نسلط الضوء على آية مباركة لها علاقة بمسألة عقائدية تتعلق بصفات الله تعالى التنزيهية من جهة وبإعجاز النبي صلى الله عليه وآله من جهة أخرى.

❖ الشيخ عماد الكاظمي

❖ الآية الحادية عشرة / قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[2].

❖ عن محمد بن الفضيل[3] قال: ((سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام هَلْ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، بِقَلْبِهِ رَآهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُوْلُ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أَيْ لَمْ يَرَهُ بِالْبَصَرِ، وَلَكِنْ رَآهُ بِالْفُؤَادِ))[4].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّنُ مسألة عقائدية مهمة لها علاقة بنفي صفات الجسمية عن الله تعالى؛ لأنها من صفات السلب التي لا تليق بتوحيده تعالى، وهذه المسألة قد اختلف المسلمون فيها على قولين: الأول: يرى استحالة رؤيته في الدنيا والآخرة وهو رأي الإمامية، والآخر: يرى رؤيته في الآخرة من دون الدنيا وهو رأي الأشعرية (مذاهب العامة)، ولأجل أنْ نكون على بينة من مداليل هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام النافية للرؤية البصرية لله تعالى من قبل رسوله صلى الله عليه وآله وغيره، نبحث عن ذلك في موضوعات ثلاثة:

١- تفسير الآية ضمن السياق العام.

٢- الأحاديث الواردة في الرؤية وعدمها.

٣- أقوال علماء الكلام في الرؤية.

أولاً: إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعددة، وقبل أنْ نبيِّن ذلك ينبغي الإشارة إلى أنَّ كلمة (مَا كَذَبَ) قد وردت قراءتها بالتخفيف (مَا كَذَبَ)، وبالتشديد (ما كَذَّبَ)[5]، وأما ما ورد في التفاسير:

١- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((إنَّهُ لم يكذبْ فؤادُ محمدٍ صلى الله عليه وآله ما رآهُ بعينِهِ لمن آيات ربه]، يعني لم يكذبْ محمدٌ بذلك، بل صَدَّقَ بِهِ، والفؤادُ القلبُ، وقالَ ابنُ عباس: يعني ما رأى بقلبِهِ، وقالَ الحسنُ: إنَّهُ رأى ربَّهُ بقلبِهِ، وهذا يرجعُ إلى معنى العلم، ومعنى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ أي: ما توهَّمَ أنَّهُ يرى شيئًا، وهُوَ لا يراهُ من جهةِ تخيُّلِهِ لمعناهُ، كالرائِي للسرابِ بتوهُّمِهِ ماءً، ويرى الماءَ مِنْ بعيدٍ فيتوهَّمَهُ سرابًا .... والفرقُ بينَ الرؤيةِ في اليقظةِ وبينَ الرؤيةِ في المنامِ، أنَّ رؤيةَ الشيءِ في اليقظةِ إدراكُهُ بالبصرِ علىَ الحقيقةِ، ورؤيتُهُ في

١- كان الحديث في بيان قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. الماعون: ٥.

٢- سورة النجم: الآية ١١.

٣- أبو جعفر الأزرق محمد بن الفضيل الكوفي الأزدي، الصيرفي، عربي، كوفي، أدرك الإمام الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام)، روى عنهم في موارد متعددة، له كتاب ومسائل. السيد الخوئي، أبو القاسم علي أكبر: معجم رجال الحديث ١٨/١٥١.

٤- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين: التوحيد ص١١٦ الحديث ١٦.

٥- ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٧.

المنام لصورةٍ في القلبِ على توهُّمِ الإدراكِ بحاسَّةِ البصرِ، من غيرِ أنْ يكونَ كذلكَ))[6].

إنَّ هذا التفسير الذي ذكره الشيخ (قدس سره) فيه بيان إلى أنَّ الرؤية هي قلبية وليست بصرية، وأنها في اليقظة حقيقة، وهذا فيه دفاع عن مقام النبي ﷺ في قوله برؤيته مطلقًا، وفيه بيان لصدقه وفضله، وقد وجَّه قول الحسن بما يلائم العقيدة الحقة في رؤية الله تعالى، فالرؤية الواردة في تفسير الحسن يراد بها العلم في المقام، وليس رؤية البصر.

٢- قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((مَنْ قرأ (كَذَّبَ) بتشديدِ الذالِ فمعناهُ ما كذبَ قلبُ محمدٍ ﷺ ما رآهُ بعينِهِ تلكَ الليلةَ، بل صَدَّقَهُ وحَقَّقَهُ، ومَنْ قرأ بالتخفيفِ فمعناهُ ما كذبَ فؤادُهُ فيما رأى .... ومعنى كَذَبْتُكَ عينُكَ أرتْكَ ما لا حقيقةَ له، فعلى هذا يكونُ المعنى لَمْ يكذبْ فؤادُهُ ما أدركَهُ بصرُهُ، أي كانتْ رؤيتُهُ صحيحَةً غيرَ كاذبةٍ، وإدراكًا على الحقيقةِ، و يشبهُ أنْ يكونَ الذي شَدَّدَ أرادَ هذا المعنى وأكَّدَهُ))[7].

إنَّ رأي العلامة الطبرسي (قدس سره) يطابق رأي الشيخ الطوسي (قدس سره) فيما يتعلق بحقيقة الرؤية التي تطرقت إليها الآية الشريفة، وقد ذكر الآراء التي تترتب على اختلاف القراءة في كلمة (كذب)، وفي ذلك بيان إلى حقيقة ما جرى لرسول الله ﷺ في تلك الواقعة.

٣- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((الرائي في قوله: ﴿مَا رَأَى﴾ هو الفؤادُ أو البصرُ أو غيرُهُما؟ نقولُ فيه وجوهٌ: الأول: الفؤادُ. كأنَّهُ تعالى قال: ما كذبَ الفؤادُ ما رآهُ الفؤادُ، أي لم يقل: إنَّهُ جنِّيٌّ أو شيطانٌ، بل تيقنَ أنَّ ما رآهُ بفؤادِهِ صدقٌ صحيحٌ. الثاني: البصرُ. أي ما كذبَ الفؤادُ ما رآهُ البصرُ، ولم يقل: إنَّ ما رآهُ البصرُ خيالٌ. الثالث: ما كذبَ الفؤادُ ما رأى محمدٌ «عليه الصلاة والسلام»، وهذا على قولِنا الفؤادُ للجنسِ ظاهرٌ، أي القلوبُ تشهدُ بصحةِ ما رآهُ محمدٌ ﷺ من الرؤيا، وإنْ كانتِ الأوهامُ لا تعترفُ بها))[8].

إنَّ الفخر الرازي قد فصَّل الكلام في الموضوع تفصيلاً يرى إفادته من الآية الشريفة، وإنْ كان يرى إمكانية حصول الرؤية البصرية.

وإنَّ الشيخين الطوسي والطبرسي قد ذهبا إلى أنَّ المراد بالمرئي هو ما أخبر به النبي ﷺ المسلمين بما رآه ليلة الإسراء والمعراج[9]، وأما الفخر الرازي فقال: ((المسألة الرابعة: ما المرئي في قوله: ﴿مَا رَأَى﴾؟ نقولُ على الاختلافِ السابقِ والذي يحتملُ الكلامُ وجوهٌ ثلاثةٌ: الأول: الربُّ تعالى. والثاني: جبريل «عليه السلام». والثالث: الآيات العجيبة الإلهية))[10]، والسيد الطباطبائي ذكر أنَّ المرئي هو الآيات الكبرى فقال: ((وليسَ في الآيةِ ما يدلُّ على أنَّ متعلقَ الرؤيةِ هُوَ اللّه سبحانَهُ، وأنَّهُ المرئيُّ له ﷻ، بَلِ المرئيُّ هُوَ الأُفُقُ الأعلى، والدُّنُوُّ، والتدلِّي، وأنَّهُ أوحى إليهِ، فهذهِ هِيَ المذكورةُ في الآياتِ السابقةِ، وهِيَ آياتٌ لَهُ تعالى، ويؤيِّدُ ذلكَ ما ذكرَهُ تعالى في النزلةِ الأخرى من قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ❖ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[11]))[12]، ولكنه مع رأيه المتقدم في بيان حقيقة المرئي بأنه غير الله تعالى استنادًا إلى السياق القرآني للآيات المباركة، يذكر إمكانية أنْ ينطبق على رؤية الله تعالى القلبية، فيقول: ((على أنَّها [الرؤية] لو دلَّتْ على تعلُّقِ الرؤيةِ بِهِ تعالى لم يَكُنْ بِهِ بأسٌ؛ فإنَّها رؤيةُ القلبِ، ورؤيةُ القلبِ غيرُ رؤيةِ البصرِ الحسيَّةِ التي تتعلقُ بالأجسامِ، ويستحيلُ تعلُّقُها بِهِ تعالى))[13].

ثانيًا: إنَّ الروايات الواردة في الرؤية هي على نوعين، الأولى التي تمنع ذلك وهو ما ورد عن النبي والأئمة ﷺ تمسُّكًا للآيات المباركة التي تنزهه عن ذلك، ومنها التي تجوز رؤيته، بل تؤكدها، فضلاً عن أنَّها تصف الله بأوصاف -تعالى عنها علوًّا كبيرًا-، ونذكر ذلك بإيجاز:

❖ عن أبي عبد الله ﷺ قال: ((جاءَ حَبْرٌ إلى أميرِ المؤمنينَ «صلوات الله عليه» فقال: يا أميرَ المؤمنينَ هَلْ رأيتَ رَبَّكَ حينَ عَبَدْتَهُ؟ قالَ: فقالَ: وَيْلَكَ ما كنتُ أعبدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ. قالَ: وكيفَ رأيتَهُ؟ قالَ: وَيْلَكَ لا تدركهُ العيونُ في مشاهدةِ الأبصارِ، ولكن رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ))[14].

❖ عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: ((ذاكرتُ أبا عبدِ اللّهِ ﷺ فيما يروونَ من الرؤيةِ، فقال: الشمسُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الكرسيِّ، والكرسيُّ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ العرشِ، والعرشُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الحجابِ، والحجابُ جزءٌ من سبعينَ جزءً من نورِ الستر، فإنْ كانوا صادقينَ فليملؤوا أعينَهُمْ من الشمسِ ليسَ دونَها سحابٌ))[15].

إنَّ هاتين الروايتين وغيرهما من الروايات المتعددة تؤكِّد منهج الثقلين في بيان صفات الله تعالى، وهي موافقة لرواية الإمام الكاظم التفسيرية، والتي تؤكد على أنَّ حقيقة الرؤية له لا تتم بالعين الباصرة.

ومما ورد عن العامة المجوِّزين رؤيته تعالى في الآخرة:

❖ عن صهيب عن النبي ﷺ قالَ: ((إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقولُ اللّه تبارك وتعالى: تريدونَ شيئًا أزيدكُم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ، وتُنْجِنا مِنَ النارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ فما أُعْطُوا شيئًا أَحَبَّ إليهِمْ مِنَ النظرِ إلى رَبِّهِم عَزَّ وجَلَّ))[16].

❖ عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ اللّهِ ﷺ: ((يا رسولَ اللّهِ هل نَرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ هل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ اللّهِ .... فيأتيهُمُ اللّه تبارَكَ وتعالى في صورةٍ غيرِ صورتِهِ التي يعرفون فيقول: أنا رَبُّكُمْ. فيقولونَ: نعوذُ باللّهِ منكَ هذا مكانُنا حتى يأتينا رَبُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرفناهُ، فيأتيهمُ اللّه تعالى في صورتِهِ التي يعرفونَ فيقول: أنا رَبُّكُم. فيقولونَ: أنتَ رَبُّنا فيتبعونَهُ ويضربُ الصراطُ بين ظَهْرَيْ جهنَّمَ فأكونُ أنا وأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يجيزُ ولا يتكلَّمُ يومئذٍ إلا الرسل))[17].

إنَّ هاتين الروايتين وغيرهما الواردتين في رؤية اللّه يوم القيامة تخالف عقيدة التوحيد الخالصة، التي تنزهه عن الجسمية، فضلاً عمَّا ورد في القرآن الكريم من آيات تنفي انطباق تلك الصفات عليه.

ثالثًا: إنَّ العلماء قد ذكروا استحالة رؤيته تعالى في مباحثهم الكلامية عند بيان صفاته تعالى، قال العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) في كتابه «منهاج اليقين» في البحث الحادي عشر «في أنه تعالى يستحيل أنْ يكون مرئيًّا»: ((مَنْ علمَ شيئًا ثُمَّ رآهُ تجدَّدَتْ لَهُ حالةٌ لَمْ يكنْ حالةُ العلم، وهل هي نفسُ تأثُّرِ الحاسةِ، أو أمرٌ زائدٌ عليهِ .... ونازعَ فيهِ الأشاعرةُ كافة، وزعموا أنَّهُ تعالى مرئيٌّ مع أنَّهُ ليس في جهةٍ، فإنْ عَنَوا بالرؤيةِ العلمَ فقد مضى البحثُ في أنَّهُ هَلْ تُعلم حقيقتُهُ أم لا؟ وإنْ عَنَوا بها الأمرَ الحاصلَ عندَ المقابلةِ فهو منتفٍ في حَقِّهِ، وإنْ عَنَوا بها شيئًا ثالثًا فهو غيرُ معقولٍ))[18].

وقال الشيخ جعفر السبحاني في بيانه أدلة امتناع الرؤية: ((إنَّ الرؤيةَ إنَّما تَصُحُّ لِمَنْ كانَ مقابلاً، أو في حكم المقابلِ، والمقابلةُ إنَّما تتحققُ في الأشياءِ ذواتِ الجهةِ، واللّه تعالى منزَّهٌ عنها، فلا يكونُ مرئيًّا، وبعبارةٍ أخرى إنَّ المرادَ من الرؤيةِ إما حقيقتُها، أعني الإدراكَ بحس البصرِ، وهو مستلزمٌ لإثباتِ الجهةِ لَهُ تعالى بالضرورةِ ....))[19].

إنَّ ما تقدم من أقوال المفسرين والمتكلمين تؤكد الرواية التفسيرية للإمام الكاظم ﷺ حول انتفاء رؤية الله تعالى بالبصر، وإنما كان بفؤاده (صلوات الله عليه)، وهذا ما حاولت بيانه بما يتعلق بهذه الرواية، وفي ذلك دلالة واضحة جلية على وحدة منهج الثقلين (القرآن والعترة) في تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية، وبيانها للناس، فضلاً عن الحفاظ عليها من التحريف والتزييف، وإلى لقاء قادم مع روايات تفسيرية أخرى.

٦- محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٤٢٥/٩.
٧- مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٦٣/٩-٢٦٤.
٨- التفسير الكبير ٢٤١/٢٨-٢٤٢.
٩- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٦٢/٩.
١٠- التفسير الكبير ٢٤١/٢٨-٢٤٢.
١١- سورة النجم: الآيتان ١٧-١٨.
١٢- الميزان في تفسير القرآن ٣٠/١٩.
١٣- المصدر نفسه، الجزء والصفحة نفسهما.
١٤- الكليني، الكافي: ٩٧/١ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ٦.
١٥- المصدر نفسه الحديث ٧ ، وقد ذكر الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتاب التوحيد باب (ما جاء في الرؤية) أربعًا وعشرين حديثًا في ذلك، ثم قال: ((ولو أوردتُ الأخبارَ التي رويتُ في معنى الرؤيةِ لطالَ الكتابُ بذكرِها، وشرحِها، وإثباتِ صحَّتِها، وَمَنْ وَفَّقَهُ اللّه تعالى ذكرهُ للرشادِ آمَنَ بجميعِ ما يردُ عن الأئمةِ «عليهم السلام» بالأسانيدِ الصحيحةِ، وسَلَّمَ لهم، وردَّ الأمرَ فيما أشتبهَ عليهِ إليهِمْ؛ إذ كانَ قولُهُمْ قولَ اللّهِ، وأمرُهُمْ أمرَهُ، وهُمْ أقربُ الخلقِ إلى اللّهِ عز وجل، وأعلمُهُمْ بِهِ صلواتُ اللّهِ عليهِمْ أجمعينَ)). ص١٢٢.
١٦- مسلم النيسابوري: الجامع الصحيح ١١٢/١ باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى).
١٧- المصدر نفسه ١١٣/١ باب (معرفة طريق الرؤية).
١٨- ص٣٣٣ ، وقد ذكر العلامة الحلي آراء المعتزلة والأشعرية في المسألة وناقش ما يستند إليه العامة في رؤية الله تعالى وبيَّن بطلان ذلك. للتفصيل ينظر: ص٣٣٣-٣٤٠.
١٩- الإلهيات ١٣٧/٢ ، وقد بحث الشيخ المسألة بحثًا مفصَّلاً وبيَّن ما يتعلق به من جميع جوانبه. للتفصيل ينظر: ١٢٥/٢-١٤١.

تخرج الدورة الصيفية

تيمناً بعيد الأضحى المبارك وعيد الغدير الأغر، ذلك اليوم المشهود الذي أمسى نوره مشعاً ومتألقاً بين سلسلة أيام الرسالة المحمدية الذي حقت فيه كلمة الله العليا، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام/ دار القرآن الكريم مساء يوم الأربعاء ١٤ ذي الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ٦ أيلول ٢٠١٧ حفل تخرج دورة الجوادين عليهما السلام القرآنية السابعة لتعليم القرآن الكريم والعقائد والأخلاق وأصول الدين وفروعه، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة الأستاذ الدكتور جمال عبد الرسول الدباغ وعدد من أعضاء مجلس الإدارة وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني وطلبة الدورة القرآنية.

استهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم تلتها كلمة العتبة الكاظمية المقدسة وألقاها أمينها العام قائلاً: من دواعي السعادة في هذه الأعياد عيد الأضحى المبارك وعيد الغدير الأغر أن نُسعد بتخرج هذه الدورة القرآنية التي شارك فيها أبنائنا وبناتنا الأعزاء، الذين أمضوا وقتا في هذه العطلة الصيفية بتلاوة وحفظ سور من القرآن الكريم وتعلّم أحكامه فضلاً عن دروس في الأخلاق والعقيدة الإسلامية، ومن المؤكد أن تمضية الوقت بالنسبة للشباب أمر مهم في هذه الأنشطة، فقد كثر الوقت الذي يصرف هنا وهناك في غير طائل، أما إشغال الوقت في رحاب الله وطاعته ومع كتابه عزّ وجلّ فهو أمر مهم جداً. وأضاف: ينبغي أن لا تقتصر علاقة الشباب مع كتاب الله في العطلة الصيفية فحسب، بل ينبغي أن يكون كتاب الله حاضراً في كلّ دقيقة من دقائق الحياة، ولا فرق بين شاب وكبير كلنا مأمورون بالتمسك بكتاب الله وسُنة نبيه أهل بيته الأطهار، ونتسائل ما هي أبعاد هذا التمسك وإلى أي مدى استفدنا من القرآن الكريم في تعلّم أحكامه، فينبغي أن يكون حاكماً على أقوالنا وأفعالنا والإستفادة من مفردات لغته وهي لغة العرب. نحمد الله تعالى على هذا التوفيق ونتقدم بالشكر والتقدير إلى

خدّام الإمامين الجوادين في دار القرآن الكريم والشكر موصولٍ إلى الأساتذة الأكارم الذين بذلوا جهوداً رائعة مع أبنائنا الطلبة.

بعدها كانت كلمة دار القرآن الكريم ألقاها السيد عبد الكريم قاسم جاء فيها: حرصت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال دار القرآن الكريم في كلّ عام على احتضان أبنائنا وبناتنا خلال العطلة الصيفية لتعليم تلاوة القرآن الكريم وحفظه، فضلاً عن أصول الدين وفروعه وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، فقد انتظم في هذه الدورات مائة وخمسة وسبعون مشاركاً من كلا الجنسين، وتم التقسيم وفق المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ومناهج تتناسب مع فئاتهم العمرية، لغرس حب القرآن الكريم وتعاليمه السمحاء، وأضاف أن مسؤولية أولياء الأمور أصبحت أصعب في الوقت الراهن بسبب الغزو الثقافي وهو حق من حقوق الولد على أبيه.

كما شهد الحفل فعاليات عدّة منها مشاركة عدد من طلبة الدورة بتلاوة آيات من كتاب الله العزيز، ومشاركة عدد من طالبات الدورة بإنشودة (قرآني نبض حياتي)، وكذلك مشاركة مجموعة من الطلبة بإنشودة (أصول ديني)، كما تخلل الحفل مسرحية حوارية، واختتم الحفل بتوزيع الهدايا والشهادات التقديرية على أساتذة الدورة والطلبة المشاركين فيها.

تخرج دورة الجوادين السادسة لتعليم أحكام التلاوة للنساء

انطلاقاً من مبدأ تكريم المرأة المسلمة وإشاعة العلم والمعرفة بين تلك الشريحة الاجتماعية، وتزامناً مع ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية/ دار القرآن الكريم حفل تكريم المشاركات في الدورة القرآنية السادسة للنساء لأحكام التلاوة والتجويد، يوم الاثنين ١٤ ذي القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٨/٧ في رحاب الصحن الكاظمي الشريف والتي شاركت فيها (٣٠) طالبة. وشهد الحفل إلقاء كلمات عدّة قدمت خلالها التهاني والتبريكات للمشاركات في هذه الدورة، وبيّنت أهمية تعلم تلاوة القرآن الكريم وأحكامه، وأشادت بدور الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ودورها في دعم المسيرة القرآنية المباركة ورعايتها للعنصر النسوي من خلال تعليمهن أحكام القرآن الكريم وتلاوته وحفظه، وتنشئتهن نشأة إسلامية صحيحة تنسجم مع تعاليم ديننا الحنيف وأخلاق وسيرة النبي الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فضلاً عن الجهود المبذولة لخدام الإمامين الجوادين في تنظيم هذه الفعاليات القيّمة وعمق فائدتها لما لها من انعكاسات إيجابية على الفرد والمجتمع. كما استمع الحضور إلى تلاوات عدد من طالبات الدورة القرآنية، واختتم الحفل بتوزيع الهدايا والشهادات التقديرية على مُدرسات الدورة والطالبات المشاركات فيها من بركات الإمامين الجوادين عليهما السلام.

ختمة شريك القرآن

توكيداً للعلاقة الوطيدة بين العترة الطاهرة والقرآن الكريم، أقام دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة الختمة القرآنية للنساء في رحاب الصحن الكاظمي الشريف ضمن البرنامج المعدّ لشهر محرم الحرام، وذكرى استشهاد أبي الأحرار وأهل بيته وأصحابه الأبرار عليهم السلام، وبواقع قراءة جزء واحد في كل يوم. شارك في هذا النشاط القرآني نخبة طيبة من النساء المؤمنات وبحضور الزائرات الكريمات اللواتي توافدن لزيارة الإمامين الجوادين عليهما السلام. والجدير ذكره أن تلك الجلسات القرآنية شملت التعريف بفضائل السور القرآنية والتزوّد من تراث الإمام الحسين عليه السلام الكلامي ومواعظه النيّرة.

سورة الضحى

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

من علامات وحيانية القرآن واتصاله بعالم الغيب وبالملازمة فهو ليس صنعاً بشرياً من انتاج البشر مهما علا شأنه وكُبرت عبقريته، هو حصول فترات لا ينزل فيها القرآن مما يدلل على أن أمر القرآن من عند الله سبحانه، وليس للرسول الأكرم ﷺ دخل في ذلك، لكن من يقف موقف المعاند يتخذ ذلك سبباً للطعن والتشكيك، فعندما ينقطع الوحي لأيام يتهمون صاحب الرسالة بأن ربه تركه وابغضه فتنزل السورة المباركة لترد على ذلك، والسورة عبارة عن قسمين ووعدين والتذكير بمنن إلهية ثلاث وأوامر إلهية ثلاث مقابل ذلك، تبدأ السورة المباركة بالقسم ﴿وَالضُّحَى﴾ وهو أول النهار أو النهار كله بدليل مقابلته بالليل وهو القسم الثاني ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، التسجية هي التغطية لأن الليل بظلامه يغطي كل شيء، والملاحظ أن هناك ترابط واضح بين القسمين والمقسم عليه، فالضحى وهو بداية انتشار نور النهار يشبه نزول الوحي وهو نور أيضاً، والليل بظلامه يشبه انقطاع الوحي وهو انقطاع للنور فهو ظلام أيضاً، وبعد القسم يأتي المقسم عليه وهي هذه الحقيقة ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ والتوديع الترك والقلى هو شدة البغض، والآية الكريمة تنفي الأثنين معاً، فرغم انقطاع الوحي لأيام لا يعني ذلك الترك والبغض، والملاحظ توصيف الله سبحانه بـ(رَبُّكَ) الذي يوحي بتدبر أمر العبد أحسن التدبير، وفوق الاخبار بعدم الترك والبغض هناك وعدان إلهيّان لحبيبه المصطفى ﷺ.

الأول: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ وهو وعد الخير في الدارين لكن الأكثر خيراً الدار الآخرة، فمن خير الدنيا دخول الناس في دين الله وإعلاء شأن الرسول ﷺ كلما تقدم الزمان، وهيمنة دينه على الدين كله.

الثاني: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، فغاية العطاء الإلهي للرسول الأكرم ﷺ هو رضاه ﷺ وهو لا يرضى وأحد من أمته في النار، فتكون الآية هي أرجا آية في القرآن، وبذلك وردت الروايات عن الأئمة الأطهار.

ثم بين المولى سبحانه النعم التي أنعم بها على حبيبه قبل البعثة ليذكّره أنه موضع رعايته فيها، وكيف لا يكون كذلك بعد البعثة فعدّد ثلاثة منن إلهية.

الأولى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، فقد عانى النبي ﷺ من اليتم، فقد والده وهو في بطن أمه وفقد أمه بعد ست سنوات، هيأ الله سبحانه له في هذه الفترة جده عبد المطلب والذي مات وعمره ثمان سنين وأوصى بحفيده إبنه أبا طالب فعاش في كنفه حتى أيام البعثة وكان له نِعْمَ الناصر.

الثانية: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، والمراد بالضلالة هنا هو عدم الهداية، وبدون الهداية الإلهية ليس في مقدور أي كان أن يصل للهداية وأن كان خاتم الأنبياء ﷺ الذي لم تفارقه تلك الهداية.

الثالثة: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، العائل هو الفقير الذي لا مال له وقد كان ﷺ كذلك، فأغناه الله بعد زواجه بخديجة ﷺ فوهبت كل مالها إليه فصار صاحب مال كثير.

وإزاء هذه النعم الإلهية هناك ثلاث توجيهات إلهية لا تخلو من تناسب بينها وبين النعم الثلاث السابقة وهي:

الأول: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، والقهر المنهي عنه في معاملة اليتيم هو الغلبة مع التحقير، فكما منّ الله على حبيبه أيام يتمه بالإيواء منعه من تحقير اليتيم هنا بل أوصى بالإحسان إليه ووعد الحسنى لذلك.

الثاني: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، والسائل إما يكون طالباً للمال فيجب إعطاؤه أو رده رداً جميلاً، أو سائل علم فيجب تعليمه، وكل منهما يتلائم مع نعمة الإغناء بعد العَيلة.

الثالث: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، والتحديث بالنعمة الإلهية هي ذكرها وعدم إخفائها ونسبتها إلى معطيها وهو الله سبحانه واستعمالها في ما يرضيه.

إعجازُ القرآن

القسم الرابع

العلّامة الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله)

ليسَ التمييز الصائب بين المعجز الحقيقي وغيره أمراً سهلاً ميسوراً لكل أحد كما يبدو لأول وهلة، بل لن يقدر عليه غير علماء الصنعة التي يكون ذلك المعجز على شاكلتها؛ لأنهم أعرف بها وأدرى بخصوصياتها، وهم الذين يستطيعون التفريق بين ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وبين ما يمكنهم، ولذلك كان العلماء أسرع تصديقاً بالمعجز، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ لأنَّ غير العالم لا يقوى على التمييز بين الصدق والكذب، فيبقى باب الشك مفتوحاً لديه ما دام جاهلاً بمبادئ ذلك العلم، وما دام يحتمل أنَّ المدعي قد اعتمد على مبادئ علمية ربما تكون معلومة عند الخاصة من رجال تلك الصنعة، فيتباطئ عن الإسراع في التصديق، ولهذا السبب اقتضت الحكمة الإلهية أنْ تكون معجزة كل نبي مشابهة للعلم الشائع في زمانه، والذي يكثر الممارسون له والعالمون به من أهل عصره؛ ليكون ذلك سبباً في سرعة التصديق وإحكام الحجة، ومن هنا نجد أنَّ السحرة في عصر موسى كانوا أسرع من غيرهم إلى الإقرار ببرهان نبيهم؛ لأنهم رأوا أنَّ ما جاء به رسولهم خارج عن الحدود العلمية المقررة للسحر.

ولما كان العرب في عصر نزول القرآن قد بلغوا الغاية في الكلام البليغ، والاهتمام بشؤون الأدب وفنون الفصاحة، كان لا بد بمقتضى الحكمة الإلهية أنْ تتمشى معجزة نبي الإسلام مع هذه الظاهرة البارزة، فجاء رسول الله ﷺ بمعجزة القرآن وبلاغة البيان، ليعلم كل عربي أنَّ هذا الكلام إلهيٌّ محض، خارج ببلاغته المتناهية عن طاقة البشر وإمكاناتهم الفكرية والأدبية.

وكما أسلفنا من قبل فإن للنبي ﷺ معجزات أخرى غير القرآن- وهي أكثر من أن تستوعب بهذه العجالة-، ولكن القرآن أعظم هذه المعجزات شأناً، وأقومها بالحجة؛ لأن العربي الجاهل بعلوم الطبيعة والسنن الكونية قد يشك في هذه المعجزات، وينسبها إلى أسباب علمية يجهلها، وفي طليعتها السحر، الذي كان من أقرب الأسباب إلى ذهنه الساذج، ولكنه بما كان يتحلى به من معرفةٍ بفنون البلاغة وأسرار الكلام الفصيح لا يشك في إعجاز القرآن، وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، على أن تلك المعجزات الأخرى مؤقتة البقاء، إذ سرعان ما تصبح خبراً تتناقله الرواة، وحديثاً تتداوله الأفواه، فينفتح فيها باب الشك، وتغدو عرضة للتصديق والتكذيب، أما القرآن فهو باقٍ ببقاء السموات والأرض، وإعجازه ماثل أمام كل جيل، وواضح لكل ذي عينين على مر القرون وتقادم الأيام.

وقد علم كلُّ مَنْ بلغته الدعوة الإسلامية أنَّ محمداً ﷺ قد دعا جميع الناس وسائر الأمم إلى الإسلام، وأقام الحجة عليهم بالقرآن، وتحداهم بإعجازه، وطلب منهم أنْ يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ثم تنزَّل فطلب منهم أنْ يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ثم تحداهم بالإتيان بسورة واحدة، ولو كان العرب -بكل من فيهم من بلغاء وفصحاء- قادرين على ذلك لأجابوه على هذا التحدي، وأسقطوا حجته بإتيانهم بمثله، ولكنهم عندما سمعوا القرآن أقروا بالأمر الواقع وأذعنوا لإعجازه، وعلموا أنَّهم لا يستطيعون المعارضة، فصدَّق قوم منهم وأعلنوا إسلامهم، وركب آخرون رؤوسهم فأصروا على العناد، واختاروا طريق الحرب والقوة.

ويروي المؤرخون أنَّ الوليد بن المغيرة المخزومي مَرَّ يوماً في المسجد الحرام فسمع النبي ﷺ يتلو القرآن، فأصغى له من بعيد، ثم ذهب إلى مشركي قومه فكان مما قاله لهم: (لقد سمعت من محمدٍ كلاماً آنفاً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وأنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه يعلو ولا يُعلى).

ويروي هشام بن الحكم أنه اجتمع في بيت الله الحرام سنة من السنين أربعة من كبار الأدباء والمفكرين في عصرهم، هم (ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري، وابن المقفع) -وكانوا من الدهرية المنكرين لوجود الله عز وجل- فخاضوا في حديث الحج ونبي الإسلام، ثم استقر الرأي لديهم على ضرورة قيامهم بمعارضة القرآن الذي هو أساس هذا الدين، ليسقط إعجازه بمعارضتهم إياه ومباراتهم له، وتعهَّد كلُّ واحدٍ منهم أنْ ينقض ربعاً من القرآن، وجعلوا الموعد لإنجاز هذه المهمة موسم الحج القابل، وعندما اجتمعوا في الميقات المعين في بيت الله الحرام تذاكروا فيما فعلوا، فأخبرهم ابن أبي العوجاء بأنه قضى العام كله متأملاً في مجاراة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ فلم يقدر على مثله، كما أخبرهم عبد الملك بأنه قضى عامه مفكراً في مباراة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فلم يستطع ذلك، كذلك كان أمر أبي شاكر مع قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) حيث عجز عن الإتيان بما يشابهها، ولم يكن ابن المقفع بأحسن حظاً من أصحابه فقد قضى عامه عاجزاً عن معارضة آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، وَغِيضَ الْمَاءُ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يقول هشام: وبينما هم في ذلك إذ مرَّ بهم جعفر بن محمد الصادق ﷺ فنظر إليهم وقال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

مجلة البلاغ، العدد ٨، السنة٢، رمضان ١٣٨٨هـ، ص٨٥-٨٨.

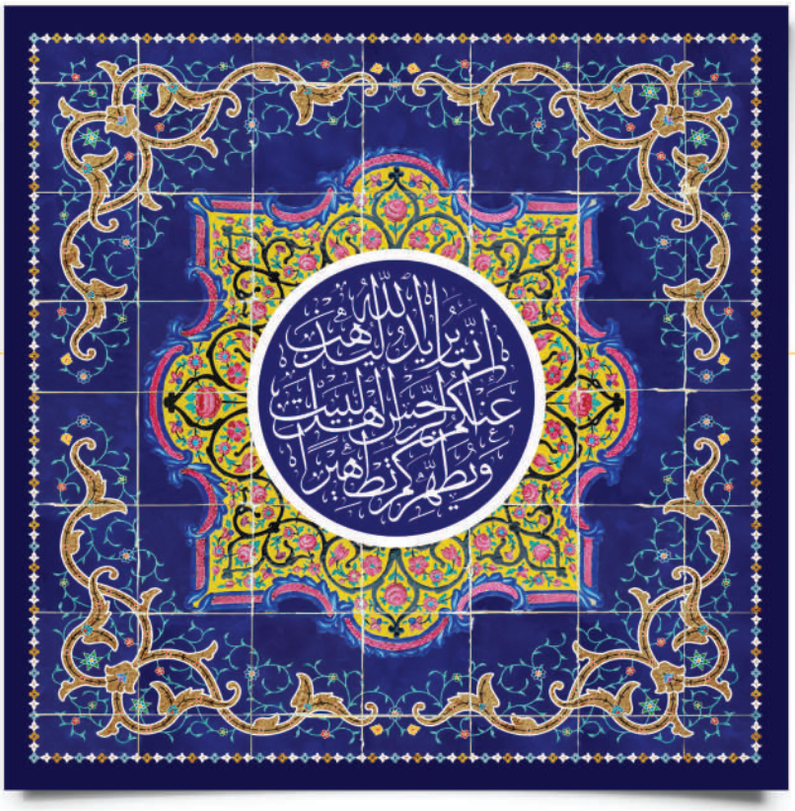

الأمان في كنف أهل البيت عليهم السلام

الشيخ محمد عبد الحسين المالكي

من الآيات التي أشارت إلى مناقب آل البيت عليهم السلام من آي الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[1]، تضمّنت هذه الآية منقبة لأهل البيت كما روى ابن شهرآشوب عن أبي حمزة الثمالي قال: (دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين عليه السلام فقال له : جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[2]، قال له: ما يقول الناس فيها قبلكم ؟ قال: يقولون إنها مكة، فقال: وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة، قال: فما هو؟ قال: إنما عنى الرجال، قال: وأين ذلك في كتاب الله؟ فقال: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، وقال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟ قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى، قال: جعلت فداك فمن هم؟ قال: نحن هم، فقال: أو ما تسمع إلى قوله: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾؟ قال: آمنين من الزيغ)[3].

جاء في اللغة أن القِرَى: الإطعام والضيافة، وهو أمرٌ أساسي في حياة الناس في الصحاري، وقد عُرف العرب بقِرْي الضيف، وسُمّيت القرية (قريةً): لأنها مكان يُقرَون فيه الضيف، والكلام مبنيٌّ على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويكثر هذا الاستعمال في اللغة العربية[4]، والدليل على ذلك سؤال الإمام عليه السلام للقاضي بقوله: أفيُسأل القرية أو الرجال أو العير؟ ومعناه: أنَّ القرية لا تُسأل فهي غير رجالها. والمعنى: أنَّ القرى التي بارك فيها الله هم أئمة العترة عليهم السلام جعلهم محطاتٍ لِقِرْي المسلمين بالعلم و الهداية، فهم القرى التي بارَك الله فيها .

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل الحسن البصري على محمد بن علي عليه السلام، فقال له: يا أخا أهل البصرة بلغني أنك فسّرت آية من كتاب الله على غير ما أُنزلت، فإنْ كنت فعلت فقد هلكتَ واستهلكت، قال: وما هي جُعلتُ فداك؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، كيف يجعل الله لقوم أماناً ومتاعهم يُسرق بمكة والمدينة وما بينهما؟ وربما أُخذ عبدٌ أو قُتل وفاتت نفسه! ثم مكث مليًّا، ثم أومأ بيده إلى صدره وقال: نحن القرى التي بارك الله فيها - إلى أنْ قال - قال: جعلت فداك فأخبرني عن القرى الظاهرة، قال: شيعتنا، يعني العلماء منهم قوله: (سيروا فيها)[5]، وفي رواية أخرى: (آمنين من الزيغ، أي فيما يقتبسون منهم العلم في الدين والدنيا)[6]، وفيما مضى ملاحظتان:

الأولى: إنَّ الله تعالى أمر الناس بالسؤال من الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويشمل السؤال عن جميع الأشياء ومنها العلوم والأحكام وغير ذلك.

الثانية: اعتبر الإمام الرجوعَ إلى أهل البيت عليهم السلام وعلماء الشيعة محطةَ أمانٍ واطمئنان، فهم ملجأ الخائف، وبهم يستغيث الهارب، ويهتدي الطالب للعلم أو الضال من الزيغ والانحراف، ومن الواضح أنَّ الرجوع إلى غير أهل البيت ليس مأموناً من ذلك، وبذلك فهو لا يخلو من الضلال.

١- سورة يوسف، الآية ٨٢.
٢- سورة سبأ، الآية ١٨.
٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب، ج٢، ص٤٢.
٤- مفردات الراغب مع ملاحظات العاملي، الراغب الأصفهاني ص ٤٧٣ بتصرف.
٥- مستدرك الوسائل، المحدث النوري، ج١٧، ص ٣١٧.
٦- المصدر نفسه.

ملاك الإيمان العمل الصالح

بعد ذكر عدد من القصص التي تختص بتاريخ بني إسرائيل وما داهمهم من فتن ومصائب، يتطرق سبحانه إلى قانون عام هو ملاك التقييم الإلهي، ولا شك بأنه فوق كل ملاك وقانون، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]، فالإيمان باللسان، دون الجنان ودون أنْ يقترن بالعمل الصالح وأنواع البرّ لا يستوجب دخول الجنان ومجانبة النيران، فالإيمان لوحده غير مرضي لله سبحانه، والمفروض أنْ يستتبعه العمل الصالح ويتجسَّد بمصاديق عملية واقعية، يستدل الناس من خلالها بأنَّ ذلك الشخص قد دخل وتمكّن الإيمان في قلبه حقيقة ومصداقا، لا بالقول فقط[2].

من هنا كانت الإشارة إلى هذا المعنى بقوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا)، فالجملة الاسمية بطبيعتها تدل على الثبوت والاتصاف بصفة الإيمان، واستقرار الصفة في النفس، بينما يدل الفعل على الحدوث والتجدد، وإمكانية الوجود والعدم بين الحين والآخر، فكأنما يفقدها الإنسان بعض الأحيان، بينما يتصف بها حيناً آخر، وعلى هذا فهي متأرجحة وغير مستقرة، وهذا سرُّ مجيء الفعل (آمنوا) مكان الجملة الاسمية (المؤمنون مثلا). ولذا فنحن نرى أن الخطاب الإلهي في القرآن غالباً ما يبدأ بالجملة الفعلية وتحديداً الفعل الماضي.

والمراد هنا هو الذين آمنوا من الجماعات المذكورة وهم: المؤمنون واليهود والنصارى والصابئة، لا خصوص المسلمين ومن دان بدين الإسلام فقط[3]، (وسياق الآية كما جاءت في أماكن أخرى يشير إلى أنَّ اليهود والنصارى فخروا بدينهم واعتبروا أنفسهم أفضل من الآخرين، وادّعوا بأنَّ الجنة خاصة بهم دون غيرهم، ولعل مثل هذا التفاخر صدر عن بعض المسلمين أيضاً؛ ولذلك نزلت هذه الآية لتؤكد أنَّ الإيمان الظاهري لا قيمة له في الميزان الإلهي، سواء في ذلك المسلمون واليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى)[4].

١- سورة البقرة، الآية ٦٢.
٢- ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١، ص٢٦٨.
٣- ينظر: معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، ص ٩.
٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج١، ص٢٤٩.

الثقافة البيئية في القرآن الكريم

القسم الثاني

بقلم: فالنتينا-ماريانا مانويو- جامعة بخارست
ايرتاندوزغونيس- جامعة كارادنيز التقنية

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

نستكمل ما بدأناه في العدد السابق من الإشارات القرآنية الخاصة بحماية البيئة التي عرضها كتّاب المقال. أما النقاط المتبقية من المقال فهي كالآتي (المترجم):

٤-٢) مبدأ المسؤولية:

لا يرى الإسلام أنَّ الإنسان سيد الطبيعة والعالم، ويرى الإنسان مسؤولاً عن تصرفه (الأحزاب: ٧٢)[١]، وهو المزارع في هذه الأرض (البقرة: ٣٠)[٢]، وإنَّ عليه أنْ يعي مسؤوليته على هذه الأرض باعتباره مديراً مؤقتاً، مستفيداً وليس مالكاً (القصص: ٧٧)[٣].

ويحث القرآن على حماية جل العناصر الطبيعية في البيئة ويخصص أنَّ البشر هم في مرتبة أسمى من بقية الأنواع (الأنعام: ٣٨)[٤]. ويذكر القرآن الكريم أنَّ هناك علاقة وثيقة بين سلوك الإنسان وحالة البيئة، وأنَّ السلوك الصالح والأخلاقي يقود إلى نتائج إيجابية (الأعراف: ٩٦)[٥] و(هود: ٥٢)[٦].

ويرسل القرآن رسالة واضحة للعناية بالبيئة وحمايتها؛ لأنَّ الإنسان ليس مالكاً لها، كما يحرم القرآن ممارسة القسوة على الحيوانات،

١- هي الآية: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (المترجم).

٢- هي الآية: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (المترجم).

٣- هي الآية: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المترجم).

٤- هي الآية: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (المترجم).

٥- هي الآية: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ) (المترجم).

٦- هي الآية: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (المترجم).

فمن مسؤولية الإنسان ضمان سلامة كل الخلق، بعبارة أخرى أنّ موقف الإسلام من البيئة والموارد الطبيعية موقف بنّاء يقوم على الحماية والتنمية، ويرفض التعدي والتخريب، ونجد هذه الأفكار مؤكدة في سورة هود/ الآية: ٦١،[٧] وهي تشير إلى صيانة الأراضي واستصلاحها من خلال الزراعة والحراثة والإعمار، وعليه فإنّ حق استخدام الموارد الطبيعية يحمل ضمناً التزام الإنسان بالمحافظة عليها وديمومتها، بحيث تضمن للأجيال التالية جني منافعها، وتقدير جمالها، واستخدامها في بناء الأوطان، كل ذلك يجري باتباع الأسلوب المعتدل، الذي يحسب حساب الآخرين، وتمثل حماية البيئة والمحافظة عليها محور فلسفة الإسلام في مجال البيئة.

والإنسان- بصفته مديراً للطبيعة - عليه واجب رعاية الاستدامة البيئية ومعارضة التبديد (الأنعام: ١٤١)[٨] و(الأعراف: ٣١)[٩].

وفي الفصلين التاليين، سنعرض لتعاليم تشمل عناصر بيئية متنوعة تتضمنها آيات عديدة في مجال البيئة.

٤-٤) الماء والهواء:

الماء هو السائل المعجزة الذي يديم الحياة (الأنبياء: ٣٠)[١٠]، وهناك عدة آيات في القرآن الكريم مثل الآية ٥ من سورة الحج[١١] تشير إلى دورة الماء، ودوره في ديمومة الحياة على الأرض، وإلى جانب دور الماء في دعم الحياة، فإنّ له في الإسلام -كما في سائر الأديان في العالم- وظيفة دينية اجتماعية في تطهير الجسم والملابس، والإسلام يحرم أي نوع من التبديد، بما في ذلك التبذير في الماء (الأعراف: ٣١)[١٢]، وقد ورد ذكر الماء كثيراً في القرآن الكريم مع الإشادة تكراراً بخصائصه الواهبة للحياة (الحج: ٦٣)[١٣] و(الفرقان: ٤٨)[١٤] و(ق: ٩)[١٥].

وأصبحت دورة الماء معروفة اليوم، ومن الآيات التي وردت في القرآن عبرت عن أفكار أصبحت من الواضحات اليوم، لكن علينا أنْ ندرك حقيقة الزمن الذي نزل فيه الوحي، أيام كان سقي الأرض بطريقة الري هو الأسلوب الوحيد المعروف، فهذه الأفكار شائعة اليوم، لكنها لم تظهر إلا في القرن الخامس عشر عندما وضع بيرنارد باليسي أول وصف محكم لدورة الماء في الطبيعة، فإذا أراد أحدهم أنْ يعقد مقارنة بين مفاهيم علم المياه المعاصر والمعلومات الموجودة في القرآن عن هذا الموضوع، لا يجد أي اختلاف بينهما.

كما أنّ هناك بعض الآيات تحمل أفكاراً يسيرة الفهم، لكنها في الوقت نفسه توحي بحقائق علمية مدهشة، مثال على ذلك الآية الثلاثون من سورة الأنبياء[١٦]، وهو عرض باهر للفكرة المعاصرة التي تقول: إن أصل الحياة ناشئ من الماء، فالماء هو أصل كل أشكال الحياة على الأرض.

أما الهواء فهو بأهمية الماء تماماً، إذ إنّ معظم الكائنات الحية على الأرض تعتمد على الهواء الذي تتنفسه لتعيش، وفي ضوء كل الوظائف التي يؤديها الجو، من الواضح أنّ المحافظة على الهواء نقياً غير ملوث أمر حيوي في المحافظة على الحياة (الأعراف: ٥٧)[١٧].

وإنّ المشكلة الخطيرة الناشئة من التلوث تتمثل بالأمطار الحامضية، التي تقتل البحيرات والأنهار، وتخرب التربة، وتهدد حياة الإنسان والنبات والحيوان. والملوثات الكبرى التي تسهم في تكون الأمطار الحامضية هي ثاني أوكسيد الكبريت وثاني أوكسيد النتروجين، والآيات ٦٨-٧٠ من سورة الواقعة[١٨] تشير إلى هذا الجانب من التلوث.

٤-٥) الأرض والنبات والحيوان:

تعد الأرض الخصبة هي الأساس لتوافر المحاصيل التي تمثل مورد الغذاء الرئيس للإنسان وبقية الكائنات (النحل: ١١)[١٩]، وإنّ الإقلال من إنتاجية الأرض وتعريضها للتعرية والاستغلال غير المنظم كلها أعمال تؤثر سلباً على التوازن العام في الطبيعة، وهي محرمة في الإسلام، فلم يكتف النبي محمد بتشجيع الاستخدام المستدام للأراضي الخصبة، بل تحدث الله تعالى عن فوائد تحويل الأراضي غير المستخدمة إلى أراض منتجة (الفرقان: ٤٩)[٢٠].

وتعد النباتات مصادر للغذاء والأوكسجين ومواد إغناء للتربة، فهي تحمي الأراضي من التعرية بفضل جذورها، وهي تمتص الماء وتحتفظ به، وهي تمثل مورداً حيوياً ونقطة انطلاق في صناعة الدواء والعطور والمواد الصحية والوقود.. الخ.

وللنباتات أنواع وأصناف وألوان مختلفة يجري تمييزها من خلال الخصائص التي ذكرت قبل ألف عام من ظهور المفهوم العلمي للأنواع في كتاب (تاريخ النبات) (Historiaplantarum)، الذي كتبه جون ري عام ١٦٨٦م. (النحل: ١٣)[٢١] و(عبس: ٢٧-٣٢)[٢٢]. لم يكن علم النبات أيام النبي محمد متقدماً إلى درجة يعرف فيه العلماء أنّ النباتات تحمل أعضاء تكاثر ذكرية وأنثوية، إلا أنّ الآية الثالثة والخمسين من سورة طه[٢٣] والآية الثالثة من سورة الرعد[٢٤] تذكر هذه المعلومة.

وليست الحيوانات مصدراً للغذاء والبضائع المختلفة فحسب، فهي لتمتعها بأعضاء حس متقدمة وقابليتها على بناء علاقات اجتماعية، فإنّ لها وضعاً خاصاً في الإسلام، فيعتقد المسلمون أنّ الحيوانات كيانات محترمة، وعليهم إبداء العطف لها، فالمسلم ملزم بتقديم الطعام أو الشراب للحيوان الجائع أو العطشان، ويعتبر القرآن الكريم الحيوانات مجتمعات لها اعتبارها، مثلها مثل المجتمعات التي يكوّنها الإنسان (الأنعام: ٣٨)[٢٥].

ويجب على المسلمين إظهار الشفقة للحيوان حتى عند ذبحه، وهناك أحكام إسلامية صارمة عند ذبح الحيوان، فلا يجوز للمسلم تعذيب الحيوان بضربه، أو بتحميله فوق طاقته، أو قطع أجزاء من جسمه أو حرقه.. الخ.

وإنّ الحياة وفقاً لمبادئ الإسلام تعني الابتعاد عن كل ترف، والعيش بانسجام مع كل ما يحيطنا، وإظهار الشفقة لكل عناصر الطبيعة.

٥. الخاتمة:

إنّ كل ما على هذا الكوكب مخلوق بحكمة ولهدف ما (القمر: ٤٩)[٢٦]، ويقول القرآن الكريم إنّ على الإنسان أنْ لا يغير شيئاً في هذا النظام الطبيعي (الأعراف: ٥٦)[٢٧]، وإنّ الكوارث التي تصيب البيئة والطبيعة والتدخلات البشرية فيهما جاء ذكرها في القرآن الكريم (الروم: ٤١)[٢٨]، وعندما يجري تقييم مفهوم البيئة في ضوء ما جاء في القرآن الكريم، يتضح أنّ الكتاب الكريم يعرض حلولاً دائمة وناجعة لكمٍّ كبير من المشاكل البيئية، أعني أنه وضع مبادئ تعزز ثقافة البيئة وحمايتها.

وإنّ التعاليم البيئية واضحة في القرآن الكريم، ولكي نؤمّن لأنفسنا بيئة صحية، علينا احترام هذه التعاليم، ووضعها موضع التطبيق على كل صعيد، وختاماً نقول إنّ النبي محمد يعدُّ رائداً في مجال الحفاظ على البيئة ورعايتها، وتنميتها المستدامة، وإدارة مواردها.

المصدر:

https://www.researchgate.net/publication/309428496

٧- هي جزء من آية: (.....هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) المترجم.

٨- هي جزء من آية: (.....كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (المترجم).

٩- هي جزء من آية: (.....وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (المترجم).

١٠- هي جزء من آية: (.....وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ) (المترجم).

١١- هي جزء من آية: (.....وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (المترجم).

١٢- هي الآية: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (المترجم).

١٣- هي الآية: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (المترجم).

١٤- هي الآية: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (المترجم).

١٥- هي الآية: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) (المترجم).

١٦- هي الآية: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ) (المترجم).

١٧- هي الآية: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (المترجم).

١٨- الآيات هي: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ) (المترجم).

١٩- هي الآية: (يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (المترجم).

٢٠- هي الآية: (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) (المترجم).

٢١- هي الآية: (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) (المترجم).

٢٢- هي الآيات: (فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ) (المترجم).

٢٣- جزء من آية: (....فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى) (المترجم).

٢٤- جزء من آية: (...وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) (المترجم).

٢٥- هي الآية: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (المترجم).

٢٦- هي الآية: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (المترجم).

٢٧- جزء من آية: (وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...) (المترجم).

٢٨- هي الآية: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (المترجم).

الشيخ عبد الله الجوادي الآملي*

صاحب تفسير (تسنيم)

عارف فقيه، وفيلسوف كبير، جمع بين المعقول والمنقول، فحصد من ثمار المعارف ما لم يحصدها غيره، حتى سطع في السماء نجمُه، وفاض بالعلم قلمُه، كثير التأليف، من خير المتنافسين في علم التفسير فكان ختامه مسك، في تفسيره (تسنيم)

* حيدر صباح عبد الرزاق

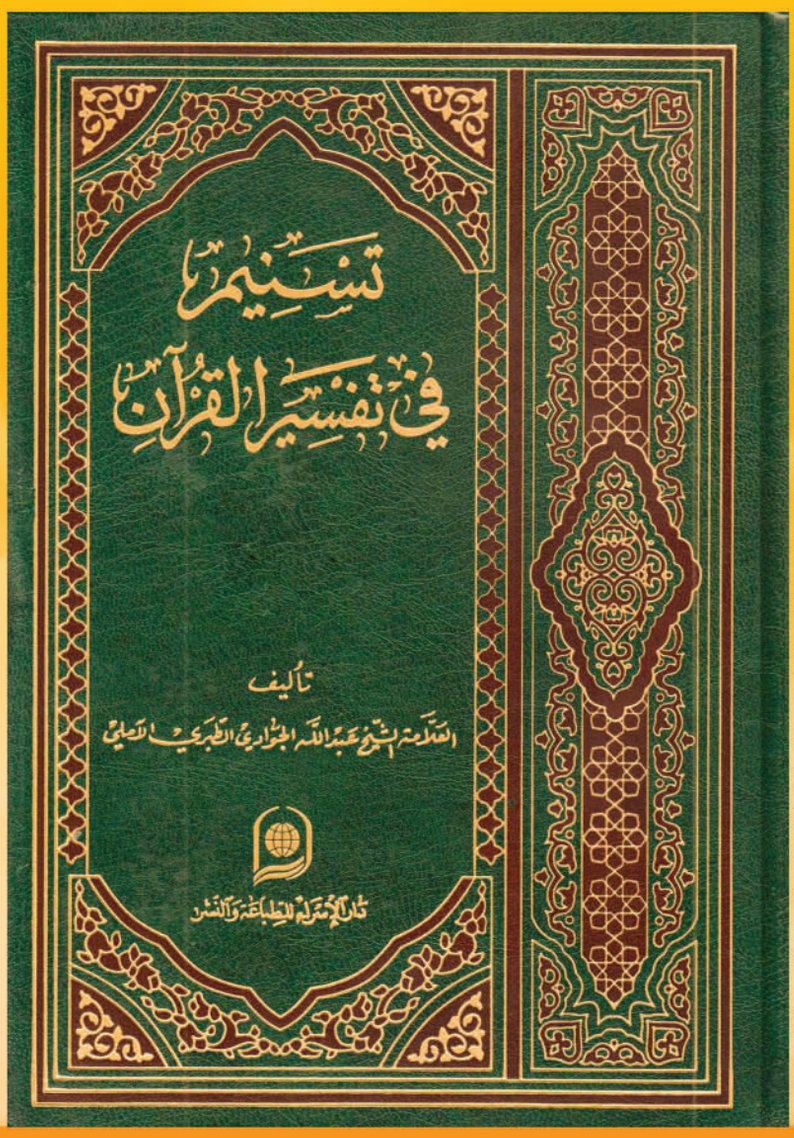

وُلد عام ١٣٥١هـ في مدينة آمل من أسرة مؤمنة، كان والده من علماء آمل وقد قضى عمرًا في إرشاد الناس وهدايتهم، وقد شجعه لمنهج الحوزة العلمية على تحصيل العلوم الحوزوية، فدخل الحوزة العلمية بعد التخرج من المراحل الابتدائية، فاحتضنه والده وقبِلَهُ تلميذاً عنده، وأعطاه أولى الدروس في جامع المقدمات، حتى سقاه من حوض المعارف الإلهية، فحضر دروس النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول الأولية عند والده والإشراقي والاعتمادي والرجائي، وأخذ شرح اللمعة عن المرحوم الميرزا رضا الروحي والمرحوم الطبرسي وآخرين آنذاك، وأخذ جزءًا كبيرًا من الأصول في محضر آية الله محمد الغروي، الذي كان فقيهًا شهيرًا وأستاذًا ماهرًا، وجزءًا آخر في محضر حجة الإسلام والمسلمين الحاج ضياء الآملي ابن الحاج الشيخ محمد تقي الآملي، وسكن بأمره مدة في مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأخذ الأمالي للشيخ الصدوق في محضر حجة الإسلام والمسلمين الآملي، وفي الوقت ذاته انشغل بحفظ سورة هود وتعلم التفسير.

وبعد الانتهاء من تعلم الأصول وشرح اللمعة، هاجر إلى طهران حوالي عام ١٣٦٩هـ، حيث كانت شعلة الشوق إلى تعلم التفسير والحديث مضطرمة في نفسه، فصار بمعية آية الله الحاج الشيخ محمد تقي الآملي في طهران، وبإرشاداته وهدايته، فأرشده إلى مدرسة (مروي)، حيث كانت أفضل مدرسة آنذاك وكانت تدرس السطوح العالية ودروس البحث الخارج، والدروس العقلية والنقلية والكلام والأصول، فتمكن بعد أداء الامتحان التجريبي من الدخول إلى محاضرات دروس المكاسب والرسائل وشرح التجريد، حضر في طهران دروس أساتذة كبار منهما المرحومان (فشاركي) والمرحوم (جابلقي) في السطوح العالية، وأخذ الفلسفة وشرح المنظومة والعلوم الطبيعية وقسم من علوم الأسفار العامة وقليل من مقدمة البهادري عند ذي الفنون المرحوم العلامة الشعراني، الذي كان يعد من أندر محققي العالم وأجمعهم للعلوم المعقولة والمنقولة.

أخذ الجزء الآخر من المنظومة واللاهوت وجزءاً من عرفان شرح الإشارات لدى العالم المتأله (قمشه اي) الذي كان ذا باع طويل وقلب رشيد، تعلم الشرح القيصري على فصوص محي الدين عن المرحوم فاضل التوني، وأحاط بالفنون العرفانية، سجل المسائل العقلية إملاءً لا كدروس رسمية في محضر الشيخ محمد تقي الآملي وكانت مفيدة جدًا في جزء الأخلاق والفلسفة، رحل إلى قم المقدسة، فحضر دروس المرحوم آية الله البروجردي والمحقق الداماد في حوزة قم العلمية بجوار قبر السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وأخذ الفلسفة والتفسير والحديث عند الأستاذ العلامة الطباطبائي، وأخذ مقدمة عن الفقه عند السيد الخميني، كان في خدمة المرحوم الداماد في مادة الفقه طوال ثلاثة عشر عامًا، وأخذ المعاملات في محضر المرحوم آية الله الحاج الميرزا هاشم الآملي خلال خمس سنوات، وكان الأخير ماهرًا في فن الفقه الشريف بالأخص مادة المعاملات.

آنس المرحوم العلامة الطباطبائي أنسًا علميًا أكثر من البقية، حيث كان المرحوم العلامة الطباطبائي يسعى كالعالم صدر المتألهين لتعليم المنطق كاملاً ليستفاد منه في مادة تعليم الفلسفة، وبعد إكمال الفلسفة يقربهم إلى العرفان، فسعى لجعل البرهان والعرفان في خدمة القرآن، ليتمكن الإنسان من تهيئة الأرضية للاستفادة من هذا البحر الوسيع.

تعرض المفسر الشيخ عبدالله الجوادي الآملي إلى ضغوط كثيرة، ومنها الإيذاء القاسي الذي كان يتعرض له من قِبَل مأموري شرطة الشاه، وقد مُنع لعدة مرات من ارتقاء المنبر، وُفِّق بما أنعم الله عليه من العلم على التأليف في مادتي الفقه والأصول، وكان في تدريسه الفلسفة والعرفان أكثر من التأليف، كتب تقارير محاضرات أصول السيد الخميني لدورة واحدة، وتم تحرير دروس المرحوم آية الله الميرزا هاشم الآملي لخمس سنين، ودروس آية الله المحقق الداماد لاثني عشرة سنة، وقليل من دروس المرحوم البروجردي وفقه السيد الخميني.

من مؤلفاته

إنّ للشيخ الآملي تأليفات كثيرة منها:

- تسنيم في تفسير القرآن في ٨٠ جزءاً إذ نشر منه ٤٩ جزءًا وهو الأبرز من بين التأليفات كلها.
- (شرح الأسفار الأربعة) نشر منه ١٩ جزءًا حتى الآن.

- الحياة العرفانية للإمام علي عليه السلام.
- الحماسة والعرفان.
- الإمام المهدي عجل الله فرجه الموجود الموعود.
- شرح الزيارة الجامعة في ثلاثة أجزاء.
- الإسلام والبيئة.
- الحياة الخالدة في علم الأخلاق.
- ولاية الإنسان في القرآن.
- الحكمة النظرية والعلمية في نهج البلاغة.
- علي بن موسى الرضا والفلسفة الإلهية.

يعرض كتاب التسنيم موضوعات كثيرة في حقل العلوم الاجتماعية والعلمية والكلامية، كما أنه لا يخلو من المباحث الفقهية، وأنّ المباحث الفقهية وتفسير الآيات التي تتضمن أحكام وحدود الله أدغمت ضمن التفسير، وطرحت ضمن الأحاديث التفسيرية، كما أنّ المؤلف تولى مزيداً من الاهتمام في شأن أسباب النزول، والأجواء التي نزلت فيها السورة والآية،

حصل على جائزة (الاسيسكو)[٢] في فرع الدراسات في عام ٢٠٠٦ عن تفسير (تسنيم).

حقاً إنَّه عالم عظيم، كرَّس وقته في طلب العلم وتدريسه، أمد الله في عمره، وأفاض وأغدق عليه من فضله، وحشره مع محمد وآله عليهم السلام ليسقوه من رحيق مختوم فيفوز الفوز العظيم.

❖ ترجمة حياة العالم الشيخ عبد الله الجوادي الآملي بقلمه، باللغة الفارسية (بتصرف) https://www.hawzah.net/.

٢- هي جائزة من منظمة التعاون الإسلامي، وهذه المنظمة تقوم كل عام بمنح جوائز للباحثين في حقول الدراسات الإسلامية.

الحوار
سُنَّةٌ قرآنية وحَاجَةٌ فكرية

القسم الثاني

❖ غفران كامل

تبقى الآيات القرآنية ما بقي الدهرُ أوسع مجالاً للجمال البياني من حيث الفكرة والعرض واللغة، فضمن النكات المكتنزة في روائع القرآن الكريم تسليطه الضوء على مجموعة من الحوارات والنقاشات مع طرفين أو أكثر تماشياً وانسجاماً مع فطرته الإنسانية باعتبار أن الإنسان مخلوق جدلي، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1].

فمن جملة ما امتاز به النص القرآني هو العرض المتكرر لمشاهد متقابلة في الحوار بين طرفين حول مواضيع شتى ومتنوعة تنوع ألوان المعرفة، ليكشف لنا عن أنَّ الحوار نافع في إدارة الخلافات أياً كانت تلك الخلافات، سواءً على مستوى الفكر أو على صعيد العقيدة أو كل ما يمس الأحكام، ونحن في هذه العجالة أعرضنا عن سرد الحوارات التي جرت بين الأنبياء مع أفراد أممهم، أو حوارات الله تعالى مع الملائكة أو إبليس-العياذ بالله منه-، وباقي الحوارات القصصية القرآنية؛ لأن الحديث حولها متشعب، لنقتصر هنا على عرض آداب ومقتضيات الحوار لتكون وعظاً وإرشاداً لعموم الأمة:

❖ لا بد أنْ يرتكز الحوار على أساس من الحجة القوية والبرهان المتين، فأطراف الحوار تدين لبعضها بعضاً ببسط الأدلة قبل الاهتمام باللغة البيانية والتزويق بالكلام والتلاعب بالألفاظ، حتى لا تضيع الحقائق بين ركام التمق، فالثرثرة لا عائدية لها ولا فائدة منها، لذلك وجب تدعيم الكلام بالأدلة العقلية والنقلية، وهذا من الأمانة والكياسة والرصانة حتى لا ينقلب الحوار إلى مزايدات جدلية، وهذا عين ما حث عليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

❖ اعتماد اللين في الحوار والموعظة الحسنة، والابتعاد عن الغلظة والحدَّة والشدَّة في النقاش؛ لأن ذلك قد يخلق نوعاً من الحساسية، تكون سبباً في تأجيج الخلافات، وإشعال نار العداوة والبغضاء بين الناس، قال تعالى:

١- سورة الكهف: الآية٥٤.

٢- سورة البقرة: الآية١١١.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3]، وقد حث تعالى باعتماد القول اللين حتى مع جبابرة الأرض، إذ جاء عنه سبحان في خطابه مع نبيه موسى الكليم وأخيه هارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى❖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[4]، وفي موضع آخر يقول عز من قائل مخاطباً المسلمين في كيفية من يخالفهم ويعارضهم من أهل الديانات السماوية الأخرى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6].

❖ يجب أن يكون هدف الحوار هو البحث عن الحقيقة وتكامل المعلومة، لنجني الثمرات المرجوة من المناقشات الدائرة بين الخصوم، وعلى الجميع الإيمان بثقافة الحوار العقلاني انطلاقاً من القاعدة التي تقول: (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب)، لئلا يتحول (الموقف إلى صدام تتجاذبه حالة الكر والفر، والهجوم والدفاع، وتهيمن عليه أجواء التوتر الفكري والنفسي والكلامي، من أجل الوصول إلى الغلبة)[7].

❖ يجب الاحتكام إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في مجمل نقاط الاختلاف والتباين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[8].

❖ الاستماع الواعي والتواضع للحقيقة والإذعان لها، فليس من الصحيح أن تأخذ المحاور المكابرة والتعالي على الحقائق الجلية، والتمسك بآراء خاوية، والإصرار على أفكار باليه، فمن وجد ضالته من الحوار عليه بتغيير أفكاره الخاطئة بأخرى إيجابية صائبة، ومن يفعل ذلك يكون موضع احتفاء القرآن الكريم، فما أجمل قوله تعالى في هؤلاء الذين يلقون السمع لما ينجيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ❖الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[9]، كما وذم القرآن الكريم الذين لا يريدون أن يؤمنوا أو يقتنعوا بالحقائق الساطعة وتأخذهم العزة بالإثم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[10]، وأيضاً قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[11]، وأيضاً عنه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ❖ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[12].

فهذه بعض الأسس التي يبينها القرآن الكريم في موضوع الحوار؛ ليكون هدف الحوار لأجل الحقيقة، وليس لأجل الحوار والمجادلة.

٣- سورة النحل: الآية ١٢٥.
٤- سورة طه: الآيتان ٤٣-٤٤.
٥- سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
٦- سورة الأنعام: الآية ١٠٨.
٧- الحوار في القرآن، جلال الدين السيوطي، ص٤٩.
٨- سورة النساء: الآية٥٩.
٩- سورة الزمر: الآيتان١٧- ١٨.
١٠- سورة الأنعام: الآية٢٥.
١١- سورة محمد: الآية١٦ .
١٢- سورة البقرة: الآيتان٦ - ٧ .

أضواء من قناديل رائية الخاقاني في التجويد

ت (٣٢٥ هـ)

الحلقة ١٥

د. كريم الزبيدي

(٤٩) وقَـدْ بَقِيَـتْ أشـياءُ بعـدُ لطيفـة
يلَقَّنُهـا باغِـي التعلُّـمِ بالصبْـرِ
(٥٠) فلازِنِ عبيدِ اللهِ موسَى على الذى
يَعَلُمُـه الخيـرَ الدعـاءُ لـدَى الفَجْـرِ
(٥١) أجابـك فينـا ربُّنـا وأجابَنـا
أخـي فيـكَ بالغُفْـرانِ منـه وبالنَّصْـرِ

وهنا نصل الى نهاية المطاف مع رحلة طالت عليكم في أجواء رائية التجويد الأولى التي شع من قناديلها ما أضاء لنا كثيراً من ظلمات دهاليز هذا العلم، والتي أوصل أبياتها إلى واحد وخمسين بيتا كما قرره مسبقا.

وبعد أنْ أفرغ الناظم ما لديه من توصيات وأوامر وتحذيرات وإرشادات لتلاميذه المنصتين له صاغها في أبيات قصيدته التي تيقّن في خاتمتها أنه لم يوفِ التجويد حقه فأنشأ قائلاً:

(٤٩) وقَـدْ بَقِيَـتْ أشـياءُ بعـدُ لطيفـة
يلَقَّنُهـا باغِـي التعلُّـمِ بالصبْـرِ

إذن فهناك أشياء (أو أسماء، برواية أخرى) ما زالت عالقة بذهن الناظم وحاضرة على لسانه لم يتفوه بها شعراً ولهذا بقيت حبيسة صدره لم يتعرض لحكمها ووصفها بصفتين:

الأولى: أنها لطيفة، والثانية: أنها تُلقّن للمتعلم بالصبر على تعلمها.

وأظن أنّ تلك الأشياء لم تكن غائبة عن وعيه أو غير حاضرة في ذهنه بل تركها لأسباب أجملها بما يلي:

- يحتمل أنها ليست خافية على متعلمي التجويد، وهذه لا يُخشى عليها من الضياع؛ فمعلمي التجويد المهرة قد توفروا على معانيها وأدائها وأصبحت في متناول يد المتعلمين.
- يحتمل أنها قد وصلت حداً من اللطافة بحيث لا تُنال بالتدوين في صحف نثرا أو تحفظ في أبيات نظماً، فإنَّ التلقي والمشافهة مما تعجز الأسطر عن بيان أهميتها في إيصال الصوت القرآني مسنداً من أفواه الأوائل إلى أسماع مريدي هذا الصوت الراغبين في التعرف عليه وأداءه للحفاظ على هذا الإرث الذي تفردت هذه الامة باستظهاره وتنقية لفظه من كل شوائب العجمة التي ابتليت الألسن بها.
- إنَّ القصيدة وصلت حدها الذي حدها لها الناظم في بداياتها في أبياتها الأولى وهو لا يريد أنْ يخالف نفسه في ما وعد، حرصاً منه على الوفاء بالعهد ودعوة منه إلى عدم الإسهاب في طرح المطالب التجويدية.
- إنَّ الأشياء الجديدة اللطيفة تحتاج لأبيات إضافية تجعل القصيدة خارجة عن حجمها المقبول وتُلقيها في تيه الأطناب الممل بعد أنْ أخرجتها من الاختصار المبهم.
- إنَّ هذه الأشياء اللطيفة لا تُبيّن إلا لباغي التعلم وكأن الناظم هنا خصص هذا النصح لمن ابتغى التعلم بالصبر والمثابرة وتحمّل المشاق والبحث والتحري والجهد والمتابعة وهذا ما لا تستطيع الأبيات تقديمه له لأنه خرج عن فئة المتعلمين المبتدئين وأصبح من طلبة الأداء المتقن الذي يحتاج إلى الصبر والجد والثبات على تحصيله.

إذن فكلمة (الصبر) يحتمل فيها للناظم مرادان:

الأول: إنَّ تلقين اللفظ المتقن للمتعلم الباغي له يكون بصبر طويل وأناة.

الثاني: إنَّ التلقين مخصص لمن عنده صبر على التعلم ولهذا وصفه بالباغي للتعلم.

ونحن قد ذكرنا في طيّات الشرح أنَّ هناك مواضيع أو أحكام لم يتطرق لها الناظم وبيّنا الأسباب المحتملة لذلك، وإذا أردنا أنْ نحصي عليه ما تركه فما علينا إلا مراجعة أي كتاب لعلم التجويد من المتقدمين أو المتأخرين لنقع على قائمة من الأحكام التي لم يذكرها بالجملة أو ذكرها ولم يفصّلها.

ولعل من أهمها مخارج وصفات الحروف العربية وأحكام التفخيم والترقيق وإخفاء الميم وأحكام همزة الوصل والإشمام والسكتات وكيفيات الوقف وغيرها الكثير الذي لا شك في احتياج المتعلم الباغي له حاجة شديدة تفرضها

طبيعة هذا العلم الذي يستحيل إتقانه بالاطلاع النظري غير المشفوع بالاستماع المكثف بالتلقين المتلقى بالمشافهة القريبة.

ومن يطلع على شرح الإمام الداني لمنظومة الخاقاني سيجد نزرا يسيرا من سيل هذه الأحكام تناول منها ما تيسر له في شرحه للقصيدة في خاتمتها ولا مندوحة لطالب علم التجويد من العودة اليها فان فيها علماً غزيراً. ولا يُلام الناظم على تركه لتلك الأشياء للأسباب التالية:

❖ لأن القصيدة كما نوهنا ستخرج عن حدها المقبول، وهذا ما لم يرد الناظم فعله.

❖ لأن الناثر له حرية التعبير والكتابة لا كالناظم المكبل بوزن وقافية تجعله يصوغ كلماته بثقل شديد لا سيما وهو ينظمها بالبحر الطويل ذي القافية الموحدة وليس ببحر الرجز ذي القوافي المفتوحة الذي يمنح الناظم فضاءً واسعاً للتعبير عن أفكاره بصياغات مريحة له ولقارئ أبياته.

❖ إنّ كثيرا من الأحكام في نظر الناظم لم تكن موضع خلاف أو ليست موضع غياب عن أذهان المشتغلين في حقول هذا الفن مما سيجعل تطرقه لها أسفافاً ولغواً وتبيانا وتوضيحا لواضح وميّن، وإنْ كنا نراها اليوم من أمّات المطالب التجويدية لاتساع الشقة بيننا اليوم وبين أوائلنا أولي اللسان الذرب والفصاحة والإتقان.

ثم يطالبنا الناظم (وهذا من حقه) بالدعاء له مع تخصيص الوقت لهذا الدعاء وهو الفجر ويعني بلا شك بعد صلاة الفجر لما لهذا الوقت من خصوصية لدى العارفين به، أو لأن تلاوة القرآن بعد الفجر من المسنون الذي نُدب إليه وعند التلاوة سيتذكر القارئ فضل الناظم عليه في تعليمه هذا الخير الجزيل فيجدّ في الدعاء للناظم.

ويعلل الناظم طلبه هذا بأنه جزاءً لتعليمه الخير وهو وصف جميل لطيف للعلم الذي قام بتوضيحه للمتعلم.

ومن تواضعه أنه لم يطلب ذلك لنفسه بقوله (لي) بل قال (لابن عبيد الله) بلسان الغيب وكأنه لا ينسب الفضل لنفسه بل لشخص اسمه موسى بن عبيد الله.

ثم يدعو متمنيا استجابة الدعاء بقوله: أجابك فينا ربنا، أي استجاب الله دعاءك أيها الداعي في حقنا، وهو بنفس الوقت يدعو لك الله أيها المتعلم الداعي قائلا: وأجابنا أخي فيك بالغفران والنصر، فمغفرة الذنوب بوابة التشرف بفيوضات العلم، أما النصر فنصران نصر عام على كل معوقات الحياة ونصر خاص على كل معوقات طلب علم التجويد الذي لولا العسر الذي فيه ما انشغل الناظم بنظم أبياته فيه.

نسأل الله مغفرة لذنوبنا جميعا تلميذنا وأستاذنا ونسأله النصر المؤزر على شياطين الإنس والجن وأنْ لا يجعل لهم علينا سبيلا إنه سميع مجيب بحق محمد وآله الطاهرين وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

القرآن يحفظ للحسين عليه السلام موقفه

لم يدع الإمام الحسين عليه السلام الدنيا تهيل عليه من سنى زبرجها، ومستلذ نعيمها، ومفاتن بهجتها، أو تخدعه ببديع زخرفها، ولو شاء لأهنأ فاه من طيب مأكلها، ولتفكه بداني قطافها، وناضج ثمارها، وشرب من صافي مائها برقيق زجاجها، ولتسربل بديباجها وحريرها

سمير جميل الربيعي

ولكن ما للحسين والدنيا، وقد علم منها غدرها، وتغيُّر حالها، وزوال ملكها، وأن ليس فيها لذة على الحقيقة إلا ومشوبة بكدر، فهي لا تخلو من بلية، أو تصفو من رزية، وهي عنده أقل مما تطأه قدماه، فليس مثله من يقع في شراكها وحبائلها، أو يسير وراء سراب أمانيها، ولو مال إليها لقضت منه وطرها، كما قضت من غيره، وتركته طائفاً بينها وبين ربه لا إليها ولا إلى ربه، وهذا محال بحقه فمثله لا يُخاف منها عليه، إذ هو عِدْل القرآن وما يصدر عنه ما هو إلّا الحق وهو موافق للقرآن، ولو جاز عليه غير ذلك (لا سمح الله) فلا معنى بعد ذلك للقول بعدليته للقرآن، ولا معنى لقول رسول الله ﷺ في حديث الثقلين إنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ومن كان صفته هكذا لم يجز عليه الخطأ، ولم يحتمل منه الزلل، وكانت عصمته من عصمة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، ومن الطبيعي أن تنشأ نتيجة هذا الاقتران وتلك المصاحبة والملازمة ما بين الحسين ﷺ والقرآن، علاقة صميمية وصفقة حقيقية قائمة على تعاقد الطرفين على أفضل العروض، وهي نصرة الدين والتناصر فيما بينهما (أن ينصر أحدهما الآخر)، وهذه العلاقة لها تأثيرات تبادلية متكافئة لكلا الطرفين، فحينما استصرخ القرآن تَعَطُّلَ أحكامه واشتكى هجرانه، قام الحسين ﷺ ملبياً الأمر الإلهي، مجيباً لنداء الواجب الديني، رغم حمازة الموقف وشدته، ورغم الذي أقدم عليه، إذ لا يقدم عليه إلاّ من أوتي قوة كبيرة في نفسه، قد منحه الله إياها نتيجة لكثرة مجاهدته وممارسته، واسترخاصه لنفسه وعياله من أجل الدين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ومن أجدر بهذه المهمة من الحسين ﷺ، فالمهمة كبيرة ومنيعة، بل ومستحيلة على غيره، فمن له حجم كحجمه ليسد خلة الموقف، وينقذ الأمة، ويقيلها من انتكاستها، ومن هو أوفى منه بالتزام عهده، ومن أصدق منه في البأساء والضراء، والصبر على المكاره في الدفاع عن حرمات الله وصون كتابه، ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3]، ولأجل هذا الوفاء وهذا الإخلاص اللا متناهي والذوبان في العشق الإلهي والتفاني فيه، كان حقيقاً على الله أن يعبِّر عن الحسين ﷺ بقرآنه في جملة من آياته المباركة، ليكون القرآن هو المحل المقدس لتكريم الحسين، وبيان فضله ومكانته ومنزلته عند الله، وجميل صنعه في حفظ الدين والقرآن، وكأنَّ الله يقول لقرآنه ومَنْ أولى به منك لتكون السفر الذي يحفظ فيه فضله وحجم تضحياته، فاحفظ إرثه كما حفظ إرثك وصُنْ اسمه كما صان رسمك، ولا تدع للظالمين سبيلاً إليه، مثلما قطع سبيل من أراد أن يعبث بك، وضَمِّن آياتك ذكره ليحلق عالياً في سماء المؤمنين، ويتلى في نواديهم آناء الليل وأطراف النهار.

ولعل من الآيات التي شرعت في بيان إيمان أبي عبد الله وابتغائه لمرضاة الله، وجاءت تخليداً لمواقفه البطولية قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[4]، إذ يذهب كثير من المفسرين بأن المراد من هذه الآية هو أن الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس هناك أصدق فرداً لهذه الآية ولا أوضح مصداقاً لها من الحسين ﷺ، أليس هو القائل (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا .... أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...)، فالحسين شهيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد رفع دمه ودم أولاده وإخوته وأصحابه علماً للهداية، ومناراً لكل من ينشد الإصلاح ويرفض الفساد والظلم عبر الأجيال، وأيضا أراد القرآن من طرف خفي الإشارة إلى مكانة الحسين ﷺ التي تسمح بأن تجري عليه وعلى أمثاله سنن تكوينية لم تجر على أحد غيره، كبكاء السماء والأرض عليه في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[5]، فعن الإمام الصادق ﷺ في قوله تعالى: (﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، قال: لم تبك السماء على أحد منذ قتل يحيى بن زكريا حتى قتل الحسين ﷺ، فبكت عليه)[6]، ولأجل هذه المكانة الخاصة للحسين ﷺ عند الله أراد القرآن أن يبين أن الله هو المنتصرُ للإمام الحسين ﷺ آجلاً ومنتقم له من الظالمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[7]، عن أبي بصير عن الإمام الباقر ﷺ، قال: تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال: الحسين بن علي منهم ولم ينصر بعد، ثم قال: والله لقد قتل قتلة الحسين ﷺ ولم يطلب بدمه بعد)[8].

ولم يكن الوعد في القرآن بقتل الظالمين فقط بل تعدى إلى أولادهم، فقد وعد الله في قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[9]، أن يبير قتلة الحسين وأولادهم، لأن هؤلاء الظلمة لا يلدون إلاّ فجّاراً كفّاراً يرضون بفعل آبائهم، (عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تبارك وتعالى: ﴿لاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قال: أولاد قتلة الحسين ﷺ)[10]، ولا يكون ذلك إلّا على يدي ولي دمه الإمام الموعود القائم المهدي ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[11]، عن محمد بن الحسن بن أحمد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن محمد بن سنان، عن رجل، قال: سألت عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، قال: ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين ﷺ، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفا، وقوله: (فلا يسرف في القتل) لم يكن ليصنع شيئا يكون سرفا)[12]، انظر كيف حفظ الله للحسين تضحياته، فأوكل تلك المهمة لقرآنه الكريم ليكون هو من يحفظ تراث الحسين ﷺ.

١- سورة فصلت، الآية ٤٢.
٢- سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
٣- سورة البقرة، الآية ١٧٧.
٤- سورة البقرة، الآية ٢٠٧.
٥- سورة الدخان، الآية ٢٩.
٦- كامل الزيارات، جعفر محمد بن قولويه، ص ١٨٠، ١٨٢.
٧- سورة غافر، الآية ٥١.
٨- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١٣٤.
٩- : سورة البقرة، الآية ١٩٣.
١٠- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١٣٦.
١١- سورة الإسراء، الآية ٣٣.
١٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١٣٥.

إبليس
من منظور القرآن الكريم

بقلم: حسين محيي الطائي

حمل القرآن الكريم في طياته بيانات عن موجودات لها تأثير في الإنسان ومنها إبليس والشيطان، وهذان الموجودان تكرر ذكرهما في الكتاب العزيز مراراً فقد ذكر الأول منهما ١٢ مرة والثاني ٧٠ مرة، ولهما مدلولان متشابهان من حيث تأثيرهما السلبي، ولسنا نقصد في هذه المقالة دراسة الاسمين معًا، إنما إبليس فقط ولكننا سنورد معنى الاسمين كليهما لغرض الاطلاع فقط.

الشيطان وإبليس لغة واصطلاحًا

في الشيطان قولان: أحدهما أنّه من شطن إذا بعد عن الحقّ أو عن رحمة اللّه، فتكون النون أصليّة، وكلّ عات متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ فهو شيطان. والقول الثاني - إنّ الياء أصليّة من شاط يشيط إذا بطل أو احترق، فوزنه فعلان[١]. والشيطان كلمة مأخوذة عن العبريّة والسريانيّة، وهو على وزان فيعال كالقيدار والبيطار والهيذام، وهو مصداق كامل لمفهوم الميل عن الحقّ والاستقامة في مقام القرب، والاعوجاج في سلوك سبيل الطاعة، والخروج عن مراحل الصدق والوفاء، والالتواء والفتل في الرفق والرحمة والوفاق، وهذا المعنى يتحقّق في الجنّ والانس والحيوان وغيرها، ولكنّ كلمة الشيطان ينصرف إطلاقه إلى الجنّ، ثمّ إلى الإنس بقرينة، ثمّ إلى الحيوان[٢]. كما إنّ الشيطان اسم عام (جنس)، وإبليس اسم علم خاص، وهو اسم الشيطان الذي أغوى أبانا آدم عليه السلام.

من هو إبليس؟

قيل إنّ اسمه كان عَزازيل وكنيته أبا مرة؛ جنيٌّ خُلق من مارج من نار، أي لهب النار الخالص، وسمي بالجنّ لأنه كان وآخرين من أمثاله خُزّان الجنة.

تأثير إبليس

إنّ تأثير الشيطان في الإنسان ليس ماديًا، إنما هو تأثير معنوي بدليل الآية: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٣]. نهي المؤمنين جميعًا من تأثير الأفكار الشيطانية التي تبدو أوّلًا في صورة باهتة، فلا بدّ من الانتباه إليها وإلّا فالنتيجة سيئة للغاية، ولا يمكن تلافيها بسهولة فعلى هذا حينما يشعر الفرد بأوّل وسوسة شيطانية بإشاعة الفحشاء، أو ارتكاب أي ذنب آخر، فيجب التصدي لها بقوّة حاسمة، حتى يمنع من انتشارها وتوسّعها[٤]، أي إنَّ الإنسان حر الإرادة، وإنَّ إبليس وجنوده لا يقوون على أنْ يجبروا إنسانًا واحدًا على السير في طريق الفساد والضلال، إنّما الإنسان هو من يلبي دعوتهم وينفتح قلبه أمامهم ويأذن لهم في الدخول فيه! إنّ تأثير الشيطان في الإنسان لا يتجاوز مستوى[٥]:

- التّوعّد بالإضلال والإغواء: وَلَأُضِلَّنَّهُمْ[٦] - وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ[٧].
- العداوة والبغضاء: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ[٨].
- الأمر بالفحشاء والمنكر: إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ[٩].
- التزيين: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ[١٠].
- الوسوسة: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ[١١].
- الدعوة إلى النّار بمعنى الاستدراج: أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ[١٢].
- الكفر: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ[١٣].

١- مصباح اللغة للفيومي، باب شطن.
٢- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٦/ ٦٠.
٣- سورة النور، الآية ٢١.
٤- يُنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١١، ص: ٥٧.
٥- يُنظر إلى التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ج٦، ص: ٦٣.
٦- سورة النساء، الآية ١١٩.
٧- سورة الحجر: الآية ٣٩.
٨- سورة المائدة: الآية ٩١.
٩- سورة البقرة: الآية ١٦٩.
١٠- سورة الأنفال: الآية ٤٨.
١١- سورة طه: الآية ١٢٠.
١٢- سورة لقمان: الآية ٢١.
١٣- سورة الحشر: الآية ١٦.

ما اعترض الشيطان به على الله[14]

لم يُذكر الشيطان في الأخبار والأحاديث كثيرًا، ولكن كتبًا مثل الملل والنحل[15] نقلت عن شروح الأناجيل صورة اعتراض الشيطان على الله (عزّ وجل)، أنه قال:

أولًا: أنت حكيم ولكن ما الحكمة في الخلق لا سيما وأنتَ عالم بما سيجري للخلق؟

ثانيًا: لمَ خلقتني وأنت عالم بما سيؤول إليه أمري؟

ثالثًا: لمَ أمرتني بالسجود لآدم وأنت عالم بطبيعتي النارية التي لا تخضع لتراب؟

رابعًا: لمَ سلطتني على بني آدم ومكنتني من إغوائهم وإضلالهم بعد أن عصيتك في عدم سجودي له؟

خامسًا: قلتُ لكَ ﴿أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فلمَ لم تهلكني؟

سادسًا: لمَ قبلتَ طلبي بتمكيني من ضلالهم وأنت عالم بأنني سوف أزيّن لهم أعمالهم وأدخلهم جهنّم؟

فأوحى الله تعالى إليه من سرادق العظمة والكبرياء: يا إبليس أنت ما عرفتني، ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أُسأل عما أفعل (انتهى)[16].

ج١- عندما خُلق الإنسان من مادة أرضية لها تركيبتها الخاصة لم تكن لترتقي إلى جوهر علوي شريف لولا سلوكها مسلك الكمال[17]، يفوق بكماله أي موجود سواه، غير أنّ تركيبة مليئة بالأضداد لا ترتقي إلا بالعلل والأسباب أهمها الاختبار في طاعة الله (عزّ وجل)؛ لأنّ الله غني بذاته لا يفتقر إلى شيء ليتمه أو ليكمله وهذه هي الحكمة بذاتها.

ج٢- إنّ الله (عزّ وجل) يعلم الغيب وما تلد الأرحام وما ستؤول المصائر بدليل الآية ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[18]، فهو بإمكانه ومشيئته صيرورة الكافر إلى النّار قبل ولادته أو بعدها، ولكنّ الأمر هذا يخالف مبدأ الاختيار الذي وهبه الله تعالى لعباده كافّة، فحتى الكافر أوجد ليختار مصيره وفق إرادته لا بالجبر وليختار قراراته بإرادته، وفي الوقت ذاته كون الكافر كافرًا لا يمنع مشيئة الله من خلقه، فالسبب الذي أدّى إلى خلقه أكبر بكثير من نتائج كفره.

ج٣- أما أمره وتكليفه لإبليس فهو تحقيق لصفة العبودية لله سبحانه، وتعدُّ المخالفة استكبارًا، ففيه على أي حال تكميل من الله واستكمال من إبليس، إما في جانب السعادة وإما في جانب الشقاوة، وهو قد اختار الثاني، على أنّ تكليفه وتكليف الملائكة بالسجدة تعيينًا للخط الذي خُطَّ لآدم.

ج٤- إنّ الصراط المستقيم الذي قُدِّر لآدم وذريته أنْ يسلكوه لا يتم أمره إلا بمسدِّد معين يدعو الإنسان إلى هداه وهو الملائكة، وعدوٌّ مضلٌ يدعوه إلى الانحراف عنه والغواية فيه وهو إبليس وجنوده، وإنّ الهدى والحق العملي والطاعة وأمثالها إنما تتحقق مع تحقق الضلال والباطل والمعصية وأمثالها، والدعوة إلى الحق إنما تتمّ إذا كان هناك دعوة إلى باطل، والصراط المستقيم إنما يكون صراطًا لو كان هناك سبلًا غير مستقيمة تسلك بسالكها إلى غاية غير غايته، أي ينبغي إيجاد توازن بين الشرّ والخير ليكتمل الاختبار الإلهي.

ج٥- بالنسبة إلى هلاكه، من المعلوم أنّ العالم لو كان خاليًا من الشرّ لكان مأمونًا من الفساد كونه مجردًا غير مادي، ولا معنى محصلًا لعالم مادي يوجد فيه الفعل من غير قوة، والخير من غير شرّ، والنفع من غير ضُرّ، والثبات من غير تغيُّر، والطاعة من غير معصية، والثواب من غير عقاب، لا يحقق معنى الاختبار الإلهي.

ج٦- إنّ من الضروري أنْ تكون هناك دعاة إلى الباطل يهدون إلى عذاب السعير ما دامت النشأة الإنسانية قائمة والإنسانية محفوظة ببقائها النوعي بتعاقب أفرادها، كما أنّ الله لم يُمكّن الشيطان من الإنسان كاملًا، ولم يسلّطه عليهم جميعًا بدليل الآية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[19]، أي إنّ هناك مقدارًا وحدًّا، فهو لا يقترب من المخلصين بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[20].

١٤- يُنظر إلى خطبة الشيخ الشهيد مرتضى المطهري عن الشيطان (شيطان از نظر قرآن)، ترجمها كاتب المقالة هذه بنفسه عن الفارسية.

١٥- كتاب الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني وهو كتاب يتحدث عن الطوائف الإسلامية باختلافها وكذلك عن الأديان السماوية وبعض طوائفها. ويتحدث أيضًا عن الديانات الوثنية واعتقاداتها قبل الإسلام عند العرب، وكذلك عن أديان الرومان وفلاسفتها، ويتحدث عن الأديان لدى حكماء الهند واعتقاداتهم، وغيرها.

١٦- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٨، ص٤٥.

١٧- يُنظر إلى المصدر نفسه.

١٨- سورة الأنعام، الآية ٥٩.

١٩- سورة الحجر، الآية ٤٢.

٢٠- سورة الحجر، الآية ٤٠.

السيدة سارة عليها السلام
المرأة المظلومة روائياً

الإرث الروائي الذي خلّفته الأقلام المجندة لهدم البنية السليمة للدين السماوي، استطاعت بنسب متفاوتة تُقدر حسب أهمية المواضيع التي تناولتها أنْ ترسخ ما تناقلته في أذهان الناس، وأعني منهم القاصر دون المقصر، وقد تناول الإرث الروائي في جملة من تفاسير المسلمين قصة السيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام، ومنها ما تعلق بالسيدة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، والتي أظهرتها هذه الروايات بصورة لا تتناسب ومقامها الجليل، حيث صورتها بالمرأة العقيم التي ملأ قلبها الحسد والغيرة من الزوجة الثانية لزوجها وأم ولده، فتحولت إلى امرأة شريرة تسعى لإيذاء هاجر، مما جعل نبي الله إبراهيم عليه السلام يخرج بهاجر وبابنها إلى مكان بعيد حفاظاً على سلامتها وسلامة ابنها، وأحدها ما كتبه ابن حجر والذي نصه: (إنَّ سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء..، ويقال إنَّ سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة)[1]، وهذا ما لا يتقبله العقل مما يجعلنا نبحث عن حقيقة الأمر، وأولى خطواتنا تبدأ من الأسرة التي نشأت بها هذه السيدة، التي قدر لها أنْ تكون زوجة أحد أنبياء أولي العزم، وأماً لنبي، وجدة لاثنين أيضاً وهم ولدها (اسحاق وابنه يعقوب وولده يوسف) عليهم السلام، ولعل هذه الخاصية تفردت بها وحدها دون نساء الأنبياء، فهذه السيدة هي امرأة شريفة النسب، جاء فيه عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: (وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة أخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين مُرسَلين منذرين)[2]، كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: (إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثار[3]، وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط عليهما السلام وسارة وورقة - وفي نسخة رقية - أختين وهما ابنتان للاحج، وكان لاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولا)[4]، ويستفاد من ذلك أنَّ السيدة سارة عليها السلام وعت في أسرة تعي معنى التوحيد والإيمان بالله تعالى، ولم تتوقف عند معرفتهما فحسب، بل كانت تقر بهما وتعتقد، فاستقراء الروايات بدقة وتمعن يؤكد لنا أنَّ السيدة سارة عليها السلام كانت امرأة مؤمنة موحدة، حيث جاء فيما ذكر عن نبوة إبراهيم الخليل عليه السلام: (ثم رجع ففتح بابه فإذا هو برجل قائم كأحسن ما يكون من الرجال، فأخذه فقال: يا عبد اللهما أدخلك داري؟ فقال: ربها أدخلنيها، فقال إبراهيم ربها أحق بها مني فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: ففزع إبراهيم عليه السلام فقال: جئتني لتسلبني روحي؟ فقال لا ولكن الله اتخذ عبداً خليلاً فجئته ببشارة، فقال إبراهيم: فمن هذا العبد لعلي أخدمه حتى أموت؟ فقال: أنت هو، قال: فدخل على سارة فقال: إن الله اتخذني خليلاً)[5].

ويستفاد من الرواية أن وجود الباري عز وجل وتوحيده وإرساله للرسل لم يكن بالشيء الجديد على مسمعها عليها السلام، ويزيد على ذلك أنها كانت مؤمنة بوجوده ووحدانيته ورسله وملائكته، وباستمرارنا في استقراء الروايات وجدنا أنها عليها السلام بلغت بإيمانها درجات قريبة من المولى عز وجل ومكانة لا ينالها أيّ إنسان.

فهي المجاهدة في سبيل الله تعالى بمؤازرتها للنبي إبراهيم عليه السلام وخروجها معه، واستعدادها التام لتحمل مشقة وتبعات هذا الخروج، خصوصاً أنه في زمان طاغية من الطغاة الذين ذكرهم التأريخ لشدة ظلمه وبطشه وهو النمرود.

١- فتح الباري: ابن حجر، ج٦، ص ٢٨٣.

٢- علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج ٢، ص٥٤٩.

٣- نقلاً عن (المصدر) :كوثار) كانت قرية من أعمال الكوفة وضبطه الجزري كوثي.

٤- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج ٧، ص٢٢٩.

٥- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ج: ١، ص٢٧٧، نقلا عن البرهان ج ١: ٤١٧ . الصافي ج ١: ٣٩٨ .

في موقف من المواقف يبرز الجانب الروحي للسيدة سارة ﷺ والارتقاء الذاتي اللذان مكّناها من بلوغ منزلة جليلة، تنم عن عمق إيمانها وتقبل المولى عز وجل له، تعد من النساء المُحدَّثات، وقد جاء عن ابن شهر آشوب في كتاب مناقب آل أبي طالب في باب (مناقب السيدة فاطمة الزهراء ﷺ) حيث استدل على محادثة الملائكة للسيدة الزهراء ﷺ بالسيدة سارة ﷺ إذ كتب: (وسارة وقد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبية)[٦]، كما ذكرته كتب التفاسير من كلا الفريقين، فقد روي: (وطبقا لما يقول بعض المفسرين وما ورد في سفر التكوين فإنَّ امرأة إبراهيم كانت آنئذ في سن التسعين وإبراهيم نفسه كان في سن المئة عام أو أكثر، إلا أنَّ الآية التالية تنقل جواب الملائكة لها فتقول: قالوا كذلك قال ربك إنّه هو الحكيم العليم. فبالرغم من كونك امرأة عجوزا وبعلك مثلك شيخًا إلا أنَّ أمر الله إذا صدر في شيء ما فلا بد أنْ يتحقق دون أدنى شك!)[٧]، وفيه أيضاً يقول الطبري في تفسيره: (هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين. يعني بقوله: المكرمين أنَّ إبراهيم ﷺ وسارة خدماهم بأنفسهما)[٨].

كما تذكر الروايات المكانة الغيبية للسيدة سارة ﷺ ومنها تتبيّن مكانتها في العالم الأخروي وفيه جاء عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: (إنَّ الله تبارك وتعالى كفل إبراهيم عليه السلام وسارة أطفال المؤمنين يغذونهم بشجرة في الجنة، لها أخلاف كأخلاف البقر[٩] في قصر من درة، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيبوا وأهدوا إلى آبائهم ملوك في الجنة مع آبائهم، وهذا قول الله تعالى: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم»)[١٠]، وفيه أيضاً جاء عن الإمام الرضا ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ لرجل، أو ما علمت أنَّ الولدان تحت العرش يستغفرون لآبائهم، يحضنهم إبراهيم وتربيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران)[١١].

وفي جانب آخر روي عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق ﷺ في خبر حضور السيدة سارة وبعض النسوة عند السيدة خديجة ﷺ لما ضربها الطلق لولادة السيدة فاطمة الزهراء ﷺ وهذا نص الخبر (قال: فلما حضرت ولادتها اغتمت فدخل عليها أربع نسوة سمر طوال فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك ونحن أخواتك وأنا سارة، وهذه آسية، وهذه مريم، وهذه كلثم أخت موسى)[١٢].

ومما تقدم نجد أنَّ السيدة سارة ﷺ تتمتع بروح إيمانية عالية جداً كفيلة بأن تعصمها عن ارتكاب مثل هكذا أفعال لا تخرج عن محيط الجاهلات من النساء، ومتبعات خطوات الشيطان في بث البغضاء والعداء بين الناس، فكيف أنَّ العقل يتقبل أنَّ من تربت وترعرعت في حجر النبوة، وعلى مختلف صفاتها كبنت وأخت وزوجة، ومن آمنت بنبي من أولي العزم وهاجرت معه كيف لها أنْ تؤذي زوجته ووليدها بدافع الحسد والغيرة، فهل يعقل أنَّ القلب الذي مِلؤه الإيمان إلى هذا الحد أن تسكنه الغيرة والحسد اللذان قال فيهما الإمام الباقر ﷺ: غيرة النساء الحسد، والحسد هو أصل الكفر، إنَّ النساء إذا غرن غضبن، وإذا غضبن كفرن، إلا المسلمات منهن)[١٣].

وإلى الجانب الروحي نضيف الجانب النفسي للاستدلال، والذي بدوره قادر على منع السيدة سارة ﷺ من مسألة الغيرة التي تتولد في قلب النساء من الزوجة الثانية، حيث تختلف الأبعاد النفسية باختلاف المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان، ونزعة الغيرة لدى النساء تكاد تنعدم وتتلاشى مع تقدمها في السن، وإذا افترضنا جدلاً وقوع احتمال وجود نزعة الغيرة لدى السيدة سارة ﷺ كما يوجد عند بعض النساء، فهل يمكن أنْ تتملكها إلى حد الإقبال على إيذاء السيدة هاجر وابنها ﷺ وهي في العقد السابع من عمرها!!، فقد ذكر الشيخ محمد جواد مغنية في عمرها عند تفسيره للآية الكريمة «وبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وبارَكْنا عَلَيْهِ وعَلى إِسْحاقَ» قائلاً): هذه البشارة من الله لإبراهيم بولد ثان إنما هي جزاء على صبره وإقدامه على ذبح ولده طاعة لله، وفي قاموس الكتاب المقدس: إنَّ سارة ولدت إسحاق ولها من العمر ٩٠ سنة، ولإبراهيم مائة سنة، وإنَّ معنى إسحاق في العبرية يضحك، أما هاجر فقد ولدت إسماعيل ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة)[١٤]، وتعليقاً على البشارة بولادة إسحاق جاءت جزاء على صبر النبي إبراهيم ﷺ، يذكر أن النبي إسماعيل كان في تلك الحادثة ابن ثلاث عَشْرة سنة (قوله: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي: شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، عن مجاهد. والمعنى: بلغ إلى أن يتصرف ويمشي معه، ويعينه على أموره قالوا: وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة)[١٥].

وبعيدا عما تقدم وجدنا هناك روايات يستفاد من مضمونها أنَّ السيدة سارة ﷺ كانت على سعي دائم لتحقيق قدوم الولد لزوجها، فقد جاء عن محمد ابن القاسم عن أبي عبد الله ﷺ: (إنَّ سارة قالت لإبراهيم ﷺ: قد كبرت فلو دعوتَ الله أنْ يرزقك ولدًا فتقر أعيننا، فإنَّ الله قد اتخذك خليلا وهو مجيب دعوتك إن شاء الله، فسأل إبراهيم ربه أن يرزقه غلاما حليما، فأوحى الله إليه أني واهب لك غلاما حليما ثم أبلوك فيه بالطاعة لي، قال أبو عبد الله ﷺ: فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين ثم جاءته البشارة من الله بإسماعيل مرة أخرى بعد ثلاث سنين)[١٦]، وكانت هي آنذاك امرأة عجوزاً آيسة من الإنجاب غير أنها كانت تأمل أنْ يتحقق من امرأة أخرى، وعوداً على الرواية نفسها التي بدأنا منها، نجد ابن حجر يذكر أنَّ السيدة سارة هي من وهبت هاجر لإبراهيم ﷺ، فكيف يمكن تقبل أنَّ المرأة العجوز التي بلغت من الإيمان مبلغًا محموداً حتى ارتقت بقلبها وروحها عن المغريات الدنيوية فاحتلت مكانة رفيعة عند خالقها، والتي كانت حريصة على نسل خليل الله فزوجته وحثته على الدعاء لطلب الولد أنْ تسعى في إيذاء هذا المولود وأمه، والتعدي على مقامهما، والذي هو جزء من مقام نبي الله!، وكيف يختار الله جل وعلا لنسل الأنبياء أنْ يخرج من رحم من تحمل هكذا نفس متبعة لخطوات الشيطان تنزه عن ذلك وهو اللطيف الخبير.

٦- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣، ص١١٥.

٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٧، ص١٠١.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ج٢٦، ص ٢٦٨.

٩- نقلاً عن المصدر(أخلاف البقر): الاخلاف جمع الخلف - بكسر الخاء - : حلمة ضرع الناقة .

١٠- تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي، ج٥، ص١٤٠.

١١- الكافي: الشيخ الكليني، ج٥، ص٣٣٤.

١٢- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٣، ص١١٩.

١٣- الكافي: الشيخ الكليني، ج ٥، ص٥٠٥.

١٤- التفسير الكاشف: ج٦، ص٣٥١.

١٥- مجمع البيان في تفسير: الشيخ الطبرسي ، ج ٨، ص٣٢١.

١٦- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ج: ١، ص٢٤٤. تفسير الصافي ج ١ : ٩٠٨ .

اليمين الغموس سبيل الأشقياء

ميادة قهرمان

ليس العقلاء والعارفون بمنأى عن آيات الله المبصرات، التي خطت بأحرف من نور، تظهر في طياتها الكريمة الكثير من المحاذير الإلهية، ومن بينها الحلف الغموس الذي ذكرته الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

حيث تشير الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ إلى مصير فئة ضالة باعت ذممها مقابل أثمان دنيوية، بخسة هوت بهم في مرمى الإفلاس في الآخرة، فخرقهم المواثيق السماوية الغليظة وتفنيدهم الدلائل التي تشير إلى نبوة خاتم النبيين ﷺ عبر اليمين الكاذب الغموس، فقد روي في سبب نزول هذه الآية الكريمة: (إنَّ جمعاً من أحبار اليهود وعلمائهم مثل «أبي رافع» و «حي بن أخطب» و«كعب بن أشرف» حين لاحظوا أنَّ مراكزهم الاجتماعية بين اليهود معرّضة للخطر، عمدوا إلى العلامات الموجودة في التوراة بشأن خاتم الأنبياء ﷺ، والتي كانوا هم أنفسهم قد دوّنوها بأيديهم في نسخ التوراة، فحرّفوها وأقسموا على أنَّ تلك الكتابات المحرّفة من الله، لذلك نزلت هذه الآية وفيها إنذار شديد لهم، وهناك مفسّرون آخرون قد ذهبوا إلى أنَّ هذه الآية نزلت في (الأشعث بن قيس) الذي كان يريد استملاك أرض لغيره عن طريق الكذب والتزوير، وعندما تهيّأ لأداء اليمين لتوثيق ادّعائه نزلت الآية، فاستولى الخوف على الأشعث واعترف بالحقّ وأعاد الأرض لصاحبها)[2]، ولأن الإسلام قد أولى عناية خاصة بسلوكيات الفرد وتوجهه عبر إظهار محاسن القول والفعل، ومنه في معرض الشهادة وقطع اليمين،فكان تحذير المسلمين عبر حملة الرسالة المحمدية هو ضرورة، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ قوله: (اليمين الغموس التي توجب النار، الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله)[3]، وتم تعريف مصطلح (الغموس): (بفتح الغين هي اليمين الكاذبة الفاجرة التي يقطع بها الحالف ما لغيره مع علمه أنّ الأمر بخلافه)[4]، ووسط قلة الوعي الإيماني لدى البعض وأيضا تردي الظروف المجتمعية أصبح هذا النوع من الحلف منتشراً بين بعض الأفراد، واتخذوه سبيلاً لفض الكثير من نزاعاتهم لأجل قضايا تحصيل المال أو غيره، وحسب جادة الفقه فان الحلف على قسمين: (الصادق والكاذب، والإيمان الصادق كله مكروه بحد ذاته سواء كان في الماضي أو الحال أو المستقبل، وأما الأيمان الكاذبة في مقام فصل الدعوى - ويستثنى منها اليمين الكاذبة التي يقصد بها الشخص دفع الظلم عنه أو عن سائر المؤمنين)[5]، ولا خلاف في أنَّ ظلم الفرد المسلم لأخيه المسلم عبر اتخاذه الحلف الغموس وسيلة للمنفعة الشخصية، ونسيان ماله من أثر وظلم على الطرف الذي ظلمه بهذا اليمين الكاذب، فإنَّ الله تعالى جعل الوعيد لأمثال هؤلاء جلياً في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[6]، وكما أنَّ التفكير السليم للمسلم يدعوه إلى ترك الانقياد لمغريات الشيطان الذي يزين للمرء عمله الطالح، ويجعله في غفلة، ومنه اليمين الغموس الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك والشقاء الأبدي.

١- سورة آل عمران: الآية ٧٧.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٥٦٥.
٣- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : الشيخ محمد تقي المجلسي ، ج٨، ص٤٤.
٤- مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي، ج٥، ص٣٢٢.
٥- المصدر نفسه.
٦- سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

ما ينبغي على المؤمن

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: (ينبغي للمؤمن أَنْ لا يموتَ حتى يتعلمَ القرآنَ أو أنْ يَكُونَ في تعليمهِ).. حديث يطرق أسماعنا هنا وهناك فيمر بنا من دون أن نتأمله جيدًا!!.. أليس هذا توجيه لنا من المعصوم يبيّن فيه ما ينبغي على المؤمن تجاه القرآن الكريم؟ نعم.. إنه يحثنا على تعلم كتاب الله العزيز بصورة ملحة لا مناص منها حتى قال أن المؤمن يجب أن لا يموت إما متعلما للقرآن أو ما يزال في طور التعلم، وهو ﷺ يؤكد ما قاله جده رسول الله ﷺ في حديث له: «ما من مؤمن ذكر أو أنثى حر أو مملوك إلا ولله عليه حق واجب، أن يتعلم من القرآن ويتفقه فيه» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾.

كما حث أهل البيت ﷺ على تعلم قراءة الدعاء بصورة صحيحة خالية من الأخطاء اللفظية فضلا عن تلاوة القرآن، فتلك الأخطاء قد تكون سببا لعدم الاستجابة إذ قال الإمام أبي جعفر محمد الجواد ﷺ: «ما استوى رجلانِ في حسَبٍ ودِينٍ إلا كان أفضلُهُما عند اللّهِ عزّ وجلّ أدبهما»، فقيل له: قد علمتُ فضله عليه في النادي والمجالس، فما فضلُه عند الله؟ قال ﷺ: «بقراءةِ القرآنِ كما أُنزِلَ ودُعائِهِ اللّهِ من حيث لا يَلْحَنُ، فإنّ الدعاءَ الملحونَ لا يصعَدُ إلى اللّهِ» فهذا الحديث يحتاج أن نتأمله ونضعه نصب أعيننا دائما.

ولأن القلوب أوعية فلا يوجد أفضل من القرآن نودعه فيه ليكون معمورا بأخلاق الله وأوامره ونواهيه وأحكام الكتاب وما فيه، فقد اهتم الإسلام بهذا الوعاء الذي تنعكس منه تصرفات الإنسان وتترجم أعضاء جسمه ما يحويه القلب فكرًا وسلوكاً، فعندما يسكن كتاب الله ذلك القلب فلا خوف عليه ولا هم يحزنون، فقد جاء أبو ذر إلى النبي الأكرم محمد ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أخاف أن أتعلّمَ القرآن ولا أعمل به، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُعذّبُ اللّه قلباً أسْكنَهُ القرآن».

تأملات في فضل القرآن

-٣-

روي عن الإمام الصادق ﷺ:
((يَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لا يَمُوْتَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، أَوْ أَنْ يَكُوْنَ فِيْ تَعَلُّمِهِ)).

تأملات في الحديث:

١- في الحديث دلالة واضحة في الحث على تعلم القرآن في هذه الحياة الدنيا؛ لما في ذلك من أثر على النفس وتهذيبها وتربيتها، فضلاً عن حصول الثواب العظيم لقراءته.

٢- إنَّ الإمام ﷺ يدعو إلى المداومة على تلاوة القرآن في كُلِّ يوم وليلة، فقوله (أنْ لا يموت) يدل عليه، فالإنسان لا يعلم متى سيموت، فعليه أنْ يتعلم القرآن باستمرار؛ لكي لا يمرَّ عليه يوم من غير تعلم لكتاب الله تعالى، وإذا أتاه الموت لم يكن مِمَّنْ هجر القرآن.

٣- إنَّ الحديث يؤكد على (تعلم القرآن وتعليمه) وليس قراءة القرآن، فتعلم القرآنِ يشمل القراءة، والحفظ، والتفسير، والأخلاق، والعمل، وكُلِّ ما يتضمنه القرآن، فلا تقتصر علاقتنا مع القرآن على تلاوته فقط، ونضيِّع علومه الأخرى وأهدافه.

ولا ننسى أن تكون القراءة غاية العمل بمضامين تعاليم القرآن الكريم.

المصدر: وسائل الشيعة / الحر العاملي.

طالت رأفتين

* زينب حسين

قيود وأغلال، أوامر ونواهٍ، قوانين ضريبة، ومعتقدات واهية، ومجتمع تتناثل في جسده التخلف، وتعشعش الرجعية في عقول أفراده السذج. واجتاحت العبودية قلوبهم ليتسامحوا، ويتذللوا لأشياء لا وجود لها.

انسلختُ من هذا العالم الجاهل متحرراً من أفكاره القديمة، كاسراً قيوده المثبطة، محطماً مالياً أفضل ما يحلو لي، لا شيء مستحيل ولا ممنوع، ولا حدود هنالك تحجزني، ولا خطوط حمراء ولا خضراء، فكل شيء مباح على هذه البسيطة، فأنا آتٍ من الطبيعة وإليها أعود.

ولكن تصرفاتي بدأت تزعج والدي الذي ما زال متيماً بدينه، ومتمسكاً بمعتقده، ومشقي للحرية ورغبتي الشديدة في إقناعه بمبدأي جعلني أدخل معه في صراعات بين الحين والآخر، تنتهي أغلبها بالمجادلة العقيمة والخصومة المريرة.

وذات يوم اتهمَ والدي ظلماً بجريمة اختلاس من قبل البنك الذي يعمل فيه لسنوات عديدة بكل إخلاص وتفان، وكان يرفض التلاعب بالقوانين، ويحرص على تطبيقها بحذافيرها، وهذا ما جعل البعض يستاؤون من نزاهته، فقرروا التخلص منه بتدبير خطة محكمة للإيقاع به، حتى ألقوا به في غياهب السجن. وعلى الرغم من حزني العميق عليه، لكنني ألومه وأحمّله المسؤولية كافة، لأنه ظل متوقفاً داخل معتقداته البالية، ولم يلقِ مني أذناً صاغية. فأين تلك القوانين والأحكام التي احترمها لكي تنصفه؟ وأين دينه الذي تربى عليه لكي يأخذ له الحق؟ وأين ربه الذي طالما دأب على عبادته لينصره ويهديك أحد؟!

إنَّ ما حصل لوالدي جعلني أتيقن بصحة أفكاري، وأجزم بأنه لا وجود لإلهٍ أو خالق، ولا وجود لحياة بعد الموت، ولا حساب ولا جزاء كما يزعمون. والكتب التي دوّنتْ في فراغتها أقنعتني أكثر، من خلال أسلوب مؤلفيها، وأدلتهم العقلية، ووصفهم الدقيق والحقيقي للواقع المعاش بكل صراحة ووضوح. مهما زادتني هذه المؤلفات إصراراً على تبصير أصدقائي والمقربين من حولي، وإيقاظهم من غفلتهم، وتنبيههم من التحذير الذي أصاب عقولهم وقلوبهم بها يسمونه الدين والإله الواحد.

وتمرّت الأيام حتى أصبحت من الدعاة لهذا الأمر، وصار إقبال الشباب من كلا الجنسين يتزايد يوماً بعد يوم، إذ يتواصلون معي لأجيب عن أسئلتهم وأوضح لهم ما التبس عليهم. لقد كان لغياب والدي الأثر الكبير في تحركي بحرية أكبر، وعلى نطاق واسع، على الرغم من معاناتي بفراقه، خاصة بعد أنْ انقطعتْ عن زيارته في السجن، بسبب توصياته وتوسلاته بي لكي أرجع إلى دينه، لأنه كما ظنّ ومنع من التمتع بالحياة، فلا وألف لا، لن أكون مثله، ولن أحذو حذوه.

لكن عندما تلقيت خبر موته وهو في السجن صرخت عالياً، وتألمت كثيراً، وصدمت أكثر عندما قرأت وصيته لي، حيث قال فيها- (بسمه تعالى.. يا بني يا فلذة كبدي وروحي التي بين جنبي، لقد أحسستُ بأنْ في هذه الأيام سينتهي عمري ويقترب أجلي، فكتبت لك هذه الكلمات، أقسم لك بأنني لم أتألم من السجن أبداً، ولم أحزن على نفسي بقدر حزني وهمي عليك فلم يهدأ لي بال، ولم تنم عيني ساهراً أدعو لك بالهداية إلى الصراط المستقيم الذي ربيتك عليه، فلا تضيع تربيتي وتعبي هباءً، واعلم يا بني بأنني سأموت مطمئناً ومؤمناً بأنني على حق، فلا يمكن للمظلوم أنْ يموت مظلوماً وينتهي الأمر كما تعتقد أنت ودعاة الإلحاد، ولا يمكن للظالم أنْ يموت ظالماً ولا يحاسب على أفعاله وظلمه للناس، فتفكر في هذا الأمرّ وراجع نفسك، وارجع إلى كتب الإلحاد هل قرأت فيها حلاً لهذه المسألة؟ فإذا كان جوابك- لا، إذن فلابد من الحياة بعد الموت، ولا بد من وقفة عادلة للحساب بين يدي الله تعالى، فهو القاضي الذي سيأخذ بحقي، وينتصر لي ولجميع خلقه المظلومين، وينتقم من جميع الظالمين، فهو وحده العادل الحكيم الذي قال في كتابه الكريم- (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)[1]. وقال في آية أخرى- (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[2]. فتفكر يا بني جيداً ولا تأخذك العزة بالإثم).

أزاحت كلماته المحفة النهامة من عيني، ونسفتْ الأفكار التي بنيتها في عقلي، وجلوتْ الصديد الذي خلف قلبي. لقد توفي أبي ليهبني الحياة الحقيقية تحت ظل الدين الحنيف، ويبصّرني الطريق الصحيح إلى الله عز وجل، ويوصلني إلى برّ الأمان بعدما غرقت في بحور الظلمات والضلالة والإلحاد. فانتبهوا يا أولي الألباب لكي لا تحيدوا عن الصراط المستقيم.

١- سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
٢- سورة ص، الآية: ٢٨.

الحرص في القرآن الكريم

إنّ من الحرص ما هو مطلوب وفي محله تماماً وحالة صحية تؤدي إلى منافع جمة، وأنّ فيه ما هو مذموم فيؤدي بصاحبه المتمادي في حرصه إلى دائرة الهلاك وهذا يعتمد على نوعه وكيفيته، والقرآن الكريم كتابٌ سماوي خالدٌ أنزل لهداية الناس لما يحييهم، يتوقف عند ظاهرة الحرص فيعطيها أبعادها وانعكاساتها، وإلى كل ما تؤدي إليه من منفعةٍ أو مضرة.

بين الرفض والقبول

عامر عزيز الأنباري

وتتضح الحاجة الإنسانية للتنظير القرآني وأسلوبه في تحديد ما هو مقبول أو مرفوض من الحرص، بما فيه من ثراء واكتناز بالمواعظ والنصائح الإلهية عبر الأمثلة والحكم والسرد القصصي، فهنالك - أي في الخطاب القرآني - إعداد إلهي متقن لبناء شخصية إسلامية متزنة، تتفاعل مع الحياة الإنسانية تفاعلاً إيجابياً، وبروح الإعداد للآخرة، فتؤكد حالة البناء الفردي والمجتمعي مع الضمان المؤكد للفوز بالمراتب العليا في الدار الآخرة، فهنالك نوعان- كما قلنا- من الحرص منه ما هو إيجابي، يدر على المرء والمجتمع بالخير والمنفعة في الدارين، ومنه ما هو سلبي يتسبب بالضرر، وتتزايد نسبة هذا الضرر بازدياده وتصاعد انعكاساته وارتداداته، فمن الحرص الايجابي على سبيل المثال هو حرص المرء واهتمامه بحب الخير للناس، وهو باب من أبواب الصلاح والإصلاح، ويوجه خطابه جلّ وعلا لنبيه الأكرم ﷺ كونه يمثل قمة هذا العطاء الإنساني، وتفانيه في هداية البشر وحرصه على سلامتهم بقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، والحرص الذي يسعى فيه المرء إلى بلوغ حوائجه من الدنيا بما أحلّه الله لعباده من الطيبات إنما هو حقّ مشروع، ما لم يتجاوز حدّه الطبيعي من الاتزان في ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[3]، وهنالك نوع آخر وهو الحرص على أنعم الله من الضياع،فهو تعالى يثني في كتابه العزيز على هذا النوع من السلوك وإن كان من بني إسرائيل، ففيه يتحقق النمو الاقتصادي، وهي دعوة قرآنية إلى الاعتدال وتحاشي الإسراف في نعم الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[4].

أما الحرص السلبي في تأثيراته وارتداداته فهو مما تصدى له القرآن الكريم من خلال استئصال ومحق الدوافع المؤدية لهذا النوع من الحرص، فالوقاية خير من العلاج كما هو معروف، والحرص إنما يتولد بعوامل تخرج عن دائرة الإيمان بالله واليقين المطلق بما عنده سبحانه فيقيناً، أن ما عند الله هو مما لا حدود له، ومما لا ينتهي أو يزول، والله يجزي الذين يصبرون ولا ينقادون لأهوائهم التي تصوّر لهم عكس ذلك قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]، والوقاية تأتي في العرض القرآني في التحذير من التعلق بهذه الدنيا الغرور ذلك التعلق الذي يصل بصاحبه حدّ العشق المذموم، وما هي إلا كما يصفها جل وعلا محذراً من حرص المرء وتهالكه عليها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[6]، ويصور لنا القرآن أنموذجاً من أمثال هؤلاء المتهالكين على الدنيا وكيف تجاوز حرصهم حدود الواقع الطبيعي للحياة، ويسبح بهم في فسيح من الخيال، وهم يتمنون أن أعمارهم تطول فلا ينتهي أمدها، غير أن ذلك لا يجديهم نفعاً، فالموت هو النهاية الطبيعية للحياة عاجلاً أم آجلاً قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[7]، والحرص كما ذكرنا له انعكاساته وارتداداته فالحريص على الدنيا ومغانمها تنعدم في نفسه الثقة بالله تعالى، فيسلم نفسه بتخاذل للمطامع الدنيوية وأهوائها، فلا تجد في أمثال هؤلاء إلا البخيل الشحيح الذي يبخل بأمواله على الناس، فلا يؤدي الحقوق الشرعية الواجب عليه أداؤها، ويبخل على بيته وعياله مما أغدق الله عليه، بل يبخل بها حتى على نفسه، والقرآن يحث على مقارعة الأنفس الشح ويدعو إلى الإنفاق في سبيل الله قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[8]، كما أن القرآن يعطي إنذاراً مبكراً من عواقب هذه الصفة السيئة، فيذكّر أنها تعود على صاحبها بالضرر والخسران، وهي لا تعبر إلا عن نفس صاحبها السوداوية التي لا تحب الخير للآخرين، وأن ما فيها من الأنانية سيؤدي بها إلى الحرمان من نعيم الآخرة قال تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[9]، ولا يخفى ما للبخل من أضرار على المستويين الاقتصادي والاجتماعي مما يضيق المجال عن ذكره، إلا أنّ في البخل من المخاطر ما يؤدي بصاحبه إلى أدنى مستويات الانحدار فلا يتورع عن إراقة ماء وجهه، وقد يصل به البخل حدّ التهاون حتى بشرفه وعرضه أحياناً فيما لو بالغ في بخله وشحة نفسه، فمما ورد عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام: (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه)[10]، فلا تجد في الحريص المغرم بحب الدنيا إلا من تتمكن منه رذائل الطباع كالجبن والخسة وانحطاط النفس،فلا ضير عنده في الكذب واتخاذ أساليب الحيل والمخادعة والدجل؛ للحصول على المنافع الدنيوية، ولعل في قول مولانا أبي عبد الله عليه السلام (حب الدنيا رأس كل خطيئة)[11] توصيف دقيق لمبلغ ما يؤدي به الحرص على الدنيا، وشدة الهيام بها من أضرار وأخطار جسيمة.

١- سورة النحل ، الآية ٣٧.
٢- سورة يوسف، الآية ١٠٣.
٣- سورة الأعراف، الآية ٣٢.
٤- سورة المائدة، الآية ٦٦.
٥- سورة النحل، الآية ٩٦.
٦- سورة الحديد ، الآية ٢٠.
٧- سورة البقرة، الآية ٩٦.
٨- سورة التغابن، الآية ١٦.
٩- سورة محمد، الآية ٣٨.
١٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢٠ ،ص٣٢٨.
١١- الخصال ، الشيخ الصدوق، ص٢٥.

أهمية الحج
ومكانته في القرآن الكريم

❖ بقلم: ناصر شكريان*
❖ ترجمة: حسين محيي الطائي

المصدر: http://old.ido.ir/a.aspx?a=1388090404

جاء في كتاب الخصال للشيخ الصدوق رواية عن الرسول الأكرم ﷺ هي: (قد جاء في تعليل الرسول للحجّ ضمن تعليله لسائر الفرائض بأنه معادل لتمام الشريعة)[1]. أي إنّ الحجّ نموذج مصغّر للإسلام بما احتوى على مناسك تجمع جميع أبعاد العبادات.

ولكن من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله، نتقدم ببضاعتنا المزجاة هذه لبيان أهمية الحج والسعي المبذول ليعرف حجاج بيت الله أكثر عن مراسم الحج، ولتكون لهم الفرصة المثلى للاستفادة الفضلى عن الحج.

١- الخصائص والتأكيدات في أسلوب بيان تشريع الحج

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)[2]، أي إنّ الحج أحد الواجبات الإلهية الذي يجب على أي شخص مرة واحدة في العمر، وهذه الآية هي من الآيات التي تدل على وجوبه، وقد طرح أسلوب بيان الآية بشكل لم يتكرر في أي آية أخرى تعنى بالحج، فهي ليست كبيان وجوب الصلاة أو الزكاة، بل هي بمنزلة ميثاق وعهد إلهيين.

٢- جامعية الحج وتوسّع أبعاده

من جملة الأمور التي لها دلالة على أهمية الحجّ الكبيرة والمنحصرة به هو أبعاده المختلفة والمنافع الواسعة والتي لا نجدها في بقية العبادات، ودليلها (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)[3]، تظهر عمومية الحج وتوسّعه من خلال كثرة المنافع الدينية والدنيوية التي لا نرى مثيلها في بقية العبادات.

٣- الحجّ، دعوة عامة

إنّ الفرائض كلها اختص بها المؤمنون مثل الصيام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)[5] أو الصلاة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ)[6]، أما الحج الذي فرضه الله لم يوجب على المؤمنين فقط، بل دعوة إلى عامة الأديان مثل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)[7]، كما إنّ إبراهيم عليه السلام بعد أن أُمر ببناء الكعبة كُلِّف بدعوة الناس إلى حجّ البيت جميعًا.

٤- أهمية الحج من حيث المكان

إلى جانب ذكر المواضيع العامة آنفًا، فإنّ لمكان إقامة الحج خصائص خاصة لا توجد مثلها في العبادات الأخرى وهي:

١- أول بيوت الله وأكثرها قيمة في الأرض: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ)[8]. يعرّف القرآن الكريم الكعبة كأول بيت بُني للتوحيد وأقدمها بناءً، وقد شُرّفت على بيت المقدس بعد أنْ عارض اليهود مسألة قبلة المسلمين، وقالوا إنّ بيت المقدس خير من الكعبة، فنزلت هذه الآية تبيانًا لمكانة الكعبة ومقامها.

* مدير مؤسسة التبليغ الإسلامي في محافظة مازندران.
١- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي.
٣- سورة آل عمران، الآية ٩٧.
٤- سورة الحج، الآية ٢٨.
٥- سورة البقرة، الآية ١٨٣.
٦- سورة المائدة، الآية ٦.
٧- سورة البقرة، الآية ٢١.
٨- سورة آل عمران، الآية ٩٦.

ب- مكان للتوحيد: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾[9]، بلحاظ وقوع النكرة في سياق النهي يتبين للجميع أنّ الكعبة المشرفة بنيت من أجل التوحيد فقط، ولتكون مكانًا طاهرًا للطائفين والراكعين والساجدين، ولا يجوز فيها الشرك علنًا أو خفية، أي أن يُعبد الله عندها ولا يُشرك به أحد.

ت- مكانٌ تتجلى فيه العلامات الإلهية الواضحة: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[10] ففيه المعاجز الإلهية الواضحة مثل التوحيد والنبوة والإمامة والمعنوية والإيثار ومواقف إبراهيم ﷺ، وفي كل خطوة تذكير بالآيات والعلامات.

أهمية الحج ومكانته في الروايات.

بما أنّ الكتاب وسنة أهل البيت في المصادر الإسلامية عرفا بأنهما ثقلان لا ولن يفترقا أبدًا، فقد دفعنا هذا إلى دراسة أهمية الحج ومكانته، وقد دعتنا كثرة الروايات والفوائد إلى دراسة الرواية ضمن العناوين التالية لغرض الوصول إلى الاستفادة المثلى:

١- الحجّ، مظهر الشريعة الإسلامية.

قال رسول الله ﷺ: (.. والخامسة الحج وهي الشريعة)[11]، ويروي الصدوق ﷺ في الخصال أنه (وقد جاء في تعليل الرسول ﷺ للحج ضمن تعليله لسائر الفرائض بأنه ... والخامسة الحج وهو (هي) الشريعة)[12]، فيفهم من الرواية هذه أنّ الحج يعتبر مظهر مهم من مظاهر الإسلام كله.

٢- الحج، من أهم أركان الإسلام.

بني الإسلام على خمس هي: الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية[13]، وقال المرحوم صاحب كتاب الجواهر في مقدمة كتاب الحج من موسوعته الفقهية جواهر الكلام أنّ الحجّ أهم الأعمال وأجمعها: (الحج الذي هو من أعظم شعائر الإسلام وأفضل ما يتقرب به الأنام إلى الملك العلام.. ورفض العادات وترك اللذات والشهوات .. وتحمّل مشاق الحل والارتحال ومقاسات الأهوال، وهي لم تجتمع فيها ما اجتمع في الحج من فنون الطاعات، ومن هنا ورد أنّ الحج المبرور لا يعدله شيء ولا جزاء له إلا الجنة، وأنه أفضل من عتق سبعين رقبة)[14]. في النتيجة بما أنّ الحجّ يحتوي على الصلاة فهو أفضل من الصلاة نفسها.

٣- الحج عامل تقوية الدين.

قال الإمام علي ﷺ: (فرض الله .. والحج تقوية للدين)[15]. كل منظومة أو كيان يتجه نحو الضعف والضياع بمرور الوقت، فيحتاج إلى عامل تقوية أو دعم ليسدّ الضعف والخلل، وبما أنّ دين الإسلام ليس بمنأىً عن الإعلام المغرض للأعداء والأقلام المشتراة من جهة، وطغيان الأهواء والشهوات من جهة أخرى، فإنّ عقائد الناس تميل إلى الاضمحلال شيئًا فشيئًا وتتنابهم الغفلة، لذلك كان نداء الحجّ مزيحًا لستار الغفلة عن القلب، فيتذكر الحاج الموت والقيامة بعد أنْ كان غارقًا في الشهوات، منغمسًا فيها، متوهمًا الخلود.

قال الإمام الصادق ﷺ: (لا يزال الدين قائمًا ما قامت الكعبة)[16]. وقد بيّن التاريخ أنّ أيام الحج أفضل الأيام وأنسبها للتبليغ والنشر الثقافي بين سواد المسلمين العام، الذي ضعُف إيمانه جراء الإعلام المضلّل، إضافة إلى أنّ التبليغ الثقافي هذا يؤثر فيهم ليعودوا من مراسم الحج بثقافة جديدة تأخذ طريقها إلى الانتشار بين أهليهم، وهكذا يكون الحج عاملًا قويًا في بقاء دين الإسلام وضامنًا لخلوده، كما قالت السيدة الزهراء ﷺ: (.... والحجّ تشييدًا للدين)[17].

٤- الحجّ بيعة مع الإمام.

رغم أنّ الكعبة هي قبلة المسلمين ومطافهم، وهي خير بقاع الأرض ولها فضائل وبركات كثيرة، إلا أنّها غير ذات قيمة لولا الاعتقاد بالولاية والإمامة، والحج من غير الولاية كحجّ الجاهلية كما عبّر عنه الإمام الباقر ﷺ: (... هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أنْ يطوفوا بها، ثم ينفروا، إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم ثم قرأ هذه الآية: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)[18]. وقال ﷺ أيضًا: (إنّما أمر الناس أنْ يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم)[19].

أ- يتبيّن من لفظة الكعبة أنّها تشير إلى مجرد الصخر والحجر إذا نزع عنها عنصر الولاية.

ب- أحد أهداف الأمر بالطواف هو لقاء الإمام وإظهار الولاية والمحبة له ونصرته.

ت- مراسم الحج دون الولاية هي كأعمال الحج في الجاهلية، وقد أشار الإمام في هذه الرواية إلى حديث النبي الأكرم ﷺ حين قال: (من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

ث- إذا كانت ميتتهم جاهليةً فحياتهم جاهلية أيضًا، لأنها خالية من الولاية، وهم محرومون من ضيافة الباري (عز وجل) وبالتالي فلا قيمة لزيارتهم و جهودهم[20].

٩- سورة الحج، الآية ٢٦.

١٠- سورة آل عمران، الآية ٩٧.

١١- وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي: ج ١ ص ٢٦ - العلل ص ٩٣.

١٢- الخصال ج ١ ص ١٣٣.

١٣- وسائل الشيعه ج ١ ص ٢٩-١٣ باب ١.

١٤- جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي: ج ١٧ ص ١٦٤ لغا ٢١٨ كتاب الحج.

١٥- جواهر الكلام ج١٧ كتاب الحج و وسائل الشيعه ج١١ ص١١٢.

١٦- وسائل الشيعة ج٨ ص١٤.

١٧- الاحتجاج، الطبرسي ج١ ص٩٩ واعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج١ ص٣١٦.

١٨- أصول الكافي، الشيخ الكليني: ج١ ص ٣٩٢- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج٣ ص٩٤.

١٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٦ ص١٧٤ - وسائل الشيعة ج١٤ ص٣٣١ - نظيره في أصول الكافي ج١ ص ٣٩٣ و ٣٩٢.

٢٠- يشير آية الله الجوادي الآملي إلى هذا المعنى في كتاب (الحج، مجموعة مقالات ص ٦٢ و ٦٣) أيضًا.

نبيّ الله سليمان عليه السلام

❖ الشيخ طه العبيدي

وفاة نبي الله سليمان بن داود عليه السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ الله عزوجلّ أوحى إلى سليمان بن داوُد عليه السلام أنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس يُقال لها: الخرنوبة، قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه فقام فيه متّكئاً على عصاه فقبض روحه من ساعته، قال: فجعلت الجنُّ والإنس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا وهم يظنّون أنّه حيّ لم يمت، يغدون ويروحون وهو قائمٌ ثابت حتى دبّت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض أفلا تسمع لقوله عز وجلّ: (فلمّا خرّ تبيّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)[1].

ذكر الشيخ الطبرسي (رحمه الله): إن نبي الله سليمان عليه السلام كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل وأكثر، يدخل فيه طعامه وشرابه، ويتعبد فيه فلما كان في المرة التي مات فيها، لم يكن يصبح يوماً إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها، ونفعها، وضرها، فرأى يوماً نبتاً فقال: ما اسمك؟ قال: الخرنوب. قال: لأي شيء أنت؟ قال: للخراب. فعلم أنه سيموت، فقال: اللهم عَمِّ على الجن موتي، ليعلم الإنس أنهم لا يعلمون الغيب، وكان قد بقي من بنائه سنة، وقال لأهله. لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه، ودخل محرابه، وقام متكئاً على عصاه، فمات، وبقي قائماً سنة. وتم البناء، ثم سلط الله على منسأته الأرضة حتى أكلتها، فخر ميتاً، فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حيًّا، لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك، وقيل: إنَّ في إماتته قائماً، وبقائه كذلك أغراضاً منها إتمام البناء، ومنها أنْ يعلم الإنس أنَّ الجن لا تعلم الغيب، وأنهم في ادعاء ذلك كاذبون، ومنها: أنْ يعلم أنَّ من حضر أجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته، وروي أنه أطلعه الله سبحانه على حضور وفاته، فاغتسل، وتحنط، وتكفن، والجن في عملهم وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير، فبينا هو قائم متكئ على عصاه في القبة، ينظر إلى الجن كيف يعملون، وهم ينظرون إليه، ولا يصلون إليه، إذا رجل معه في القبة، فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أقبل الرشى، ولا أهاب الملوك! فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة، قال: فمكثوا سنة يعملون له، حتى بعث الله الأرضة، فأكلت منسأته، وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فكان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضة، وذكر أهل التاريخ أنَّ عمر نبي الله سليمان عليه السلام كان ثلاثاً وخمسين سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه[2].

ملك نبي الله سليمان عليه السلام

قال تعالى في دعاء ومناجاة نبي الله سليمان عليه السلام (هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي)[3]، أعطى الله تعالى ملكاً عظيماً لنبيه سليمان عليه السلام ومن ذلك:

١- تسخير الريح، فغدوها شهر ورواحها شهر، وكان عليه السلام يأمرها فتحمله وتنقله من بلد إلى لآخر، فيأمرها هذا أولا وثانياً، وإنَّ الريح تنقل له كلام الآخرين حتى توصله إلى مسامعه عليه السلام.

٢- تسخير الجن له، فكانت الجن والشياطين تعمل تحت سيطرته وضمن ملكه، فمنهم الغوَّاص والبنَّاء وعمل الصنائع المتنوعة.

٣- تسخير الوحوش والطيور، وقد حبس له من كل نوع يأتمرون بأمره.

٤- معرفة منطق الطير ومنطق كل دابة في بر أو في بحر.

٥- ألانَ لداود وسليمان عليهما السلام الحديد والصفر من غير نار، وقوله تعالى: (وأسلنا له عين القطر) والقطر النحاس أي أذبناها له فسالت له كالعين الجارية.

وكل ما تقدم يؤكد على مقام الأنبياء عند الله تعالى وتسديده إليهم، وما في ذلك من الدروس والعبر التي يجب علينا أن نتعلمها عند قراءة القرآن الكريم في عرضه لقصص الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وعلى آله الكرام.

١- شرح أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج٨ص١٤٤.
٢- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٨ص٢٠٦.
٣- سورة ص: الآية٣٥.

الطيب والخبيث

في المنظور القرآني

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ❖ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

أثبت القرآن الكريم السببية بين الأشياء، فهو لايختلف مع العلوم الطبيعية بذلك، والعقل البشري يدل عليه أيضاً، وفطرة الإنسان تدل على أن لكل حادث مادي علة أوجبته وأوجدته، ومع ذلك فالقرآن إضافة لهذه السببية التي تنتهي إلى الله سبحانه، فهو مسبب الأسباب، فلذلك تصح كلا النسبتين إلى العلة القريبة المادية وإلى العلة الإلهية البعيدة ثانياً، ولاتنافي بين النسبتين، فالرياح مثلاً لها علتها الطبيعية ولكن القرآن الكريم يسند ذلك إلى الله سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾، فإرسال الرياح منسوب إلى سبحانه، وتختلف غايات هذه الرياح عن بعضها البعض، فمنها ما هو تدبير إلهي لفضّ الأحزاب التي جاءت للقضاء على النبي ﷺ والمؤمنين ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾، وكان نتيجة هذه الريح تفرق الأحزاب، وغاية أخرى ذكرت في مقام آخر (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) إلى غير ذلك من الغايات، وتذكر الآيات البشارة بالرحمة الإلهية (وهي المطر) ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، وسُمي المطر رحمة لأنَّ فيه حياة كل الأحياء، وغاية أخرى للريح تذكر هنا وهي حملها الغيوم الثقيلة ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، وبعد عملية الحمل هذه تأتي مرحلة سوق هذه السحابوهو منسوب إلى الله سبحانه ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾، وبعد هذا السوق تأتي مرحلة إنزال الماء بسبب السحاب ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾، وبهذا الماء تنبت أنواع النباتات التي منها حياة الحيوان والإنسان، وبذلك تتحول إلى بلد حي، وهذا الإحياء بعد الإماتة الذي يتكرر مئات المرات أمام أعين الناس دليل على إمكان إخراج الموتى عند من يأخذ العبرة مما يجري في الطبيعة ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وحتى لا يتوهم أنَّ مجرد وجود المطر كافٍ لإخراج الثمرات بلا شرط آخر، أضافت الآية الثانية أن هناك شرطاً آخر لا بد من توافره حتى يكون الثمر طيباً وهو إضافة إلى فاعلية الفاعل (المطر) قابليه القابل (الأرض)، فالأرض الصالحة للزراعة تخرج الثمرات وبأذن الله ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، أما الأرض السبخة فلا يُنتظر أن تنتج نفس الإنتاج، فأما أنْ لا تنتج أصلاً أو تنتج قليلاً رديئاً ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾، والنكد هو القليل الذي لا يخرج إلا بمشقة وعناء، وهذا المثل فيه تشبيه للمؤمن والكافر في تلقيهما القرآن والمواعظ ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ❖ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، فالقرآن نفسه له أثران مختلفان وذلك باختلاف المتلقي.

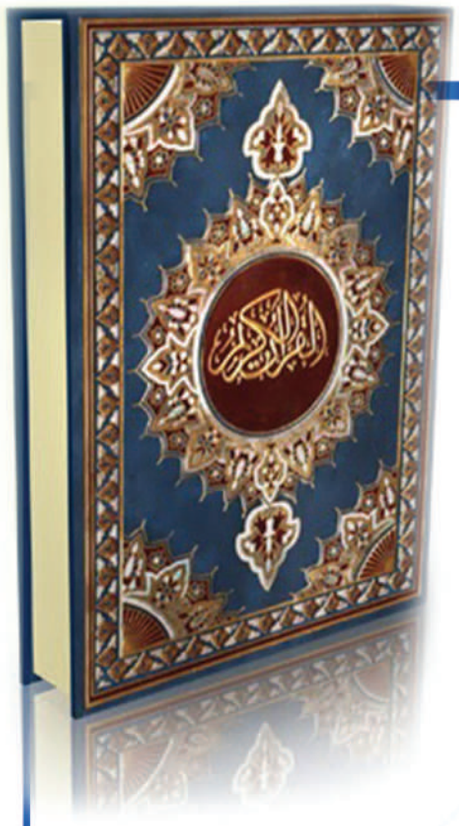

يقيم

دار القرآن الكريم

في العتبة الكاظمية المقدسة

دورة أحكام التلاوة والتجويد

بإشراف

القارئ الشيخ رافع العامري

يومي السبت ١٢:٣٠ ظهراً والأربعاء ٤:٣٠ عصراً

في قاعة دار القرآن الكريم في الصحن الكاظمي الشريف

فعلى الراغبين مراجعة الدار لتسجيل أسمائهم

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:
(من حفظ أربعين حديثاً بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة عالماً فقيهاً ولم يعذّبه)

تُقيم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

مسابقة..

حفظ أربعين حديثاً للإمام المهدي عجل الله فرجه

شـــروط الاشتراك

- يكون الاشتراك للذكور والإناث ومن الأعمار (٩ - ١٨) سنة.
- على المشترك أو المشتركة جَلب هوية الأحوال المدنية، مع إعطاء رقم الهاتف الجوال إلى لجنة الاختبار في يوم الاختبار.
- يُعتمد بالحفظ على الكراس الصادر من العتبة الكاظمية المقدسة والذي يتضمن الأحاديث المروية عن الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام المطلوب حفظها.
- يمكن الحصول على نسخة المسابقة من معارض الكتاب في العتبات المقدسة (العلوية، الحسينية، الكاظمية، العسكرية، العباسية، مسجد الكوفة).

موعد الاختبار:
يوما الجمعة والسبت ١-٢/١٢/٢٠١٧ ومن الساعة (٨ صباحاً إلى ٣ بعد الظهر).

مكان الاختبار:
الصحن الكاظمي الشريف/ قاعة دار القرآن الكريم قرب باب فاطمة.

الجوائـــــز:
يمنح الفائزون العشرة الأوائل جائزة نقدية قدرها (١٠٠) ألف دينار لكل فائز، ومجموعة من إصدارات العتبة الكاظمية المقدسة.